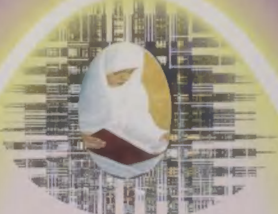

المرأة في رحاب الإسلام

باقر شريف القرشي

٢١٠١٤
وَ ب م

المرأة في رحاب الإسلام

باقر شريف القرشي

المرأة في رحاب الإسلام

باقر شريف القرشي

الناشر : دار الهدى

المطبعة : الظهور

الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

عدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة

شـــابك

ISBN 964 - 497 - 028 - 4   ٩٦٤ـ٤٩٧ـ٠٢٨ـ٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى بقيّة النبوّة وسيّدة نساء العالمين

فاطمة الزهراء عليها السلام

أرفع لمقامها العظيم هذا المجهود المتواضع

ليكون ذخراً لي يوم ألقى الله تعالى

باقر شريف القرشي

تقديم

١

تبنّى الإسلام بصورة إيجابيّة حقوق المرأة ، وأحاطها بهالة من التكريم والتبجيل ، وأولاها المزيد من اهتمامه البالغ ، فساوى بينها وبين الرجل في جميع الحقوق والواجبات ، ولم يميّز الرجل عليها إلّا في بعض الأمور التي تعود على المجتمع بالخير العميم .

لقد حظيت المرأة في ظلّ الإسلام بأرباح ذات أهميّة بالغة ، فقد عادت لها الحياة الكريمة التي فقدتها في العصور الجاهليّة التي فرضت عليها حصاراً ظالماً ، وحجبت عنها جميع حقوقها ، وألقتها في شرّ عظيم .

٢

الإسلام رحمة ونعمة من الله تعالى على عباده أجمعين ، لا يختصّ لطفه بصنف دون آخر ، فهو يعمّ الذكر والأُنثى على حدّ سواء ، وكان من بنود تعاليمه العامّة أنّه فرض على المرأة طلب العلم ، والثقافة في أُمور الدين ، كما فرض ذلك على الرجل ، ومن المؤكّد أنّ المرأة إذا تسلّحت بالعلم وعرفت واجباتها ، وما عليها من

المسؤوليّات فإنّ المجتمع يبلغ أسمى مراحل التطوّر والارتقاء.

٣

وتكمن أهميّة المرأة في ميدان تربية النشء، فهي المسؤولة الأُولى عن تربية الجيل وتهذيبه وتغذيته بالعادات الحسنة والأخلاق الكريمة التي تنعم بها الأُمّة في ميدان الاصلاح الاجتماعي، وتتطوّر حياتها، ونهضتها الفكريّة والعلميّة.

أمّا إذا شذّت في تربية أبنائها، وتخلّت عن أداء واجباتها، فإنّ الأُمّة تُمنى بالانحطاط والتأخّر، ويصاب أبناؤها بالجنوح والشذوذ في سلوكهم وبالعقد النفسيّة في حياتهم.

٤

ليس للمرأة أن تتخلّى عن أهمّ وظيفة خُلقت لها، وهي تربية النشء والسهر على رعاية شؤونه، والقيام بما يحتاج إليه، وتغذيته لا بلبنها فحسب، وإنّما بحنانها وعطفها الذي هو ألذّ شيء عنده، فهو متعة حياته، فإنّها مسؤولة عن ذلك، وليس لها أن تهمله وتلقيه في دور الحضانة، وتتخلّى عنه، فإنّه يكون عرضة للإصابة بانفصام الشخصيّة التي هي من أخطر الأمراض النفسيّة حسبما ذكر ذلك علماء النفس.

٥

وأخذت المرأة دورها الطبيعي في ميادين العلوم على اختلافها، وتعدّد أنواعها، من الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم،

وأخذت الشهادة بتفوّق ونجاح من الجامعات والمعاهد ، وساوت الرجال في طموحهم ، والظفر بالشهادات العالية ، ولكن معظمهنّ يعانين أزمة نفسيّة حادّة ، وهي عدم الاشراف على تربية أبنائهنّ ، وتركهم بأيدي المربّيات اللاتي لا عطف ولا حنان لهنّ على الطفل ، وهو غارق بالبكاء في كثير من الوقت ، الأمر الذي اضطرّ الكثير منهنّ إلى ترك وظائفهنّ والجلوس في البيت لتربية الأطفال .

٦

وثمّة مشكلة تواجه التعليم المختلط بين الجنسين في الجامعات والمعاهد ، وهما في ريعان الشباب ، وزهرة الحياة ، وتكامل القوّة ، ومن المؤكّد أنّ هذا الاختلاط له مضاعفاته السيّئة التي منها هيجان الحياة الجنسيّة ، وإشاعة الشذوذ الجنسي بين الطلّاب والطالبات ، وقد ملئت المستشفيات ودور الأطباء بالنساء المطالبات بإسقاط الحمل ، وبالإضافة إلى ذلك الإصابة بالأمراض الزهريّة وغيرها ، ومع ذلك فإنّ الاختلاط يصدّهما عن تلقّي الدروس بنجاح ، ويلقيهما في شرّ عظيم .

ولو أقام المسؤولون في البلاد العربيّة والإسلاميّة جامعات خاصّة للرجال وأخرى للنساء لصانوا العلم ، وأدّوا خدمات للفكر والعلم .

٧

من الضروري جدّاً للفتاة في معاهد العلم أن تتسلّح بالعفّة والفضيلة والحياء ، وتقف بعزم وشموخ أمام الجناة الذين يتصدّون لصيدها وزجّها في ميادين الدعارة والمجون ، ويخلعون عنها كرامتها ، ويدمّرون مستقبلها ، ويجعلونها سلعة قذرة رخيصة في أحضان المفسدين والماجنين الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً .

إنّ كرامة الفتاة وعزّتها أسمى من كلّ شيء ، فعليها أن تحافظ وتحتاط لنفسها

وتبتعد كلّ البعد عن هؤلاء المفسدين في الأرض.

كما أنّ الواجب على الحكومات القائمة في بلاد المسلمين أن يصونوا الجامعات والمعاهد من الشباب المنحرف لينقذوا الطالبات والطلّاب من التلوّث بمآثم الفجور والدعارة.

٨

ونعود للحديث عن المرأة في رحاب الإسلام، فإنّ لها سجلاً مشرقاً في تاريخ الإسلام السياسي، فقد ساهمت مساهمة إيجابيّة في بناء مجد الإسلام الشامخ، وإقامة دعائمه، وتأسيس حضارته، وفي طليعة هذه السيّدات أُمّ المؤمنين خديجة، فقد ملئت الدنيا بجهادها ونصرتها للإسلام، ووهبت ثراءها العريض لخدمة الدين، ووقفت إلى جانب الرسول تخفّف عن نفسه الأزمات والمصاعب التي كان يلقاها من جبابرة قريش، فما أعظم عائدتها على الإسلام.

وهناك كوكبة من المجاهدات والخالدات في الإسلام عقدنا لهنّ فصلاً في هذا الكتاب تحدّثنا فيه عن جهادهنّ وما قدّمن من الخدمات للإسلام ليكوننّ قدوة حسنة إلى نساء المسلمين.

٩

للمرأة في الأُمم السابقة دور متباين ومختلف كأشدّ ما يكون الاختلاف، فامرأة فرعون في ضلال الكفر والإلحاد، فزوجها زعم أنّه إله العالمين، ونشر الإرهاب والإعدام على الجاحدين لربوبيّته، وفي هذا الجوّ القاتم آمنت زوجته بالله تعالى ربّ العالمين وكفرت بزوجها، وقد حكى القرآن الكريم قصّتها.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ

لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

أرأيتم هذا الإيمان وهذا الإخلاص لعقيدة التوحيد؟! فقد تحمّلت المشاق والمصاعب إرضاءً لضميرها المتفتّح بروح الإيمان.

وبعكس هذه الفاضلة الممجّدة الخالدة في دنيا الإيمان إمرأة نبيّ الله نوح، وإمرأة نبيّ الله لوط عليهما السلام، فقد عاشتا في كنف الإيمان والجهاد، إلّا أنّهما كفرتا وتابعتا القوم الكافرين، وقد حكى القرآن الكريم قصّتهما.

قال تعالى: **﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾**(٢).

وقد تمثّلت فيهما الخيانة والسقوط في وحل المنكر والرذيلة، ولم يغيّر الجوّ الرسالي الذي عاشتا في رحابه من فكرهما.

وسيبقى الإنسان، من غير فرق بين الذكر والأنثى، على هذا الخطّ بين الإيمان بالله تعالى وبين الكفر به، حتّى يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها.

١٠

كانت لي رغبة عارمة في أن أخوض في أمثال هذه البحوث الإسلاميّة قبل عقدين من الزمن، ولكن انشغالي في تأليف موسوعة كبرى عن أئمّة أهل البيت، الذين هم كنوز الإسلام ودعاة الاصلاح الاجتماعي في دنيا المسلمين، صدّني عن تأليف

---

(١) التحريم ٦٦: ١١.

(٢) التحريم ٦٦: ١٠.

ما أميل إليه من إبراز قيم الإسلام ، والآن ـ والحمد لله تعالى ـ قد فرغت من تأليف هذه الموسوعة البالغة ما يزيد على أربعين مجلّداً ، وقد نالت ـ والحمد لله ـ رضا المؤمنين ، وسدّت فراغاً مهمّاً في المكتبة الإسلاميّة ، فاتّجهت ـ بتوفيق الله تعالى بعد أن وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً ـ إلى تأليف ما كنت أرغب إليه ، وهو إبراز القيم الأصيلة والمثل العليا التي جاء بها الإسلام دين الحضارات والتطوّر والابداع .

١١

واخترت البحث عن مكانة المرأة وأهمّيتها وحقوقها في الإسلام ؛ وذلك لما لها من الأهمّية البالغة في حضارة الأمّة وتقدّمها ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ سماحة المغفور له حجّة الإسلام والمسلمين الفقيه أخي الشيخ هادي شريف القرشي نضّر الله مثواه كان يرغب في البحث عن المرأة لأنّها من المواضيع الحسّاسة التي تمسّ حياتنا الاجتماعيّة ، واستجابة لرغبته فقد اتّجهت صوب هذا الموضوع .

آملاً من الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل ، ويجعله من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها ، كما آمل من السيّدات الفاضلات أن يجدن الفائدة في هذه البحوث ، وهو كلّ ما أتمنّاه .

مكتبة الإمام الحسن العامّة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي
٦ / رجب / ١٤٢٥هـ

طبائع المرأة

وغرائزها النفسية

أمّا المرأة فلها الفضل في حفظ النوع البشري، واستدامة وجوده على كوكب الأرض، ولولاها لانعدمت الحياة، واستحال وجود الإنسان.

إنّ الإنسان في جميع مراحل حياته مدين للمرأة بما تسديه عليه من اللطف والرعاية والخدمات المتواصلة، ولولاها لما كان له أي ظلّ أو وجود في الحياة.. إذ من المؤكّد أنّ الرجل لا يستطيع -بحال من الأحوال- أن يجاري المرأة أو يقوم ببعض مسؤوليّاتها وخدماتها التي منها رعاية الطفل، والاهتمام بحضانته، وغير ذلك من شؤونه التربويّة، فإنّها العين الساهرة على حفظه من الكوارث التي يُمنى بها في أيّام طفولته؛ وذلك لجهله، وعدم تعقّله للأخطار، فهو كالحيوان السائم الذي لا يعقل ما يضرّه وينفعه، وتبقى المرأة ملازمة له ترعاه وتحرسه من الأحداث حتّى يبلغ أشده ويبصر طريقه.

وعلى أي حال، فقد تميّزت المرأة على الرجل بطبائعها الخاصّة وغرائزها النفسيّة التي لا يشاركها الرجل فيها، ومن بينها الرقّة والحنان.

الرقّة والحنان

أمّا الرقّة بجميع معانيها وألوانها فهي من صفات المرأة، ومن ذاتياتها وعناصرها، وقد أودع الله تعالى فيها هذه العاطفة لتقوم برعاية الطفل،

وكان من حنانها عليه أنّها إذا سمعت بكاءه وهي غارقة في النوم فإنّها تهبّ مذعورة بلا اختيار لترعى طفلها، فإن كان محتاجاً إلى الرضاعة أرضعته، وإن كان محتاجاً إلى الدواء سقته، ولا يقرّ لها أي قرار حتّى يسكت الطفل من بكائه.

وشيء آخر من رقّة المرأة ما نشاهده في مجتمعنا أنّها إذا اجتازت في شارع أو غيره وشاهدت كوكبة من النساء يندبن فقيداً لهنّ أو غير ذلك من الكوارث التي يبتلى بها بعض الناس، فإنّها تقف بلا إرادة وتواسيهنّ بسكب دموعها الغزار، وكذلك إذا أبصرت شريحة من النساء تعلو أصواتهنّ بزغردة الفرح في زواج أو غيره من المسرّات فإنّها تبتهج وتشاركهنّ في أفراحهنّ ومسرّاتهن.. وهذه الظاهرة سائدة في معظم النساء، من دون فرق بين المثقّفة والبدوية.

التقلّب

وظاهرة بارزة في حياة النساء هي التقلّب في الرأي والميول، وعدم الصمود على رأي واحد. قال بعض حكماء الغرب:

«النساء ذوات طبيعة متقلّبة كتقلّب أمواج البحر، ولهنّ مشاعر مذبذبة لا تدوم أكثر من ساعة كسحب الشفق»[1].

السيطرة على الرَّجل

والشيء المؤكّد أنّ المرأة في كثير من المجتمعات لها السيطرة الكاملة على الرجل، خصوصاً المثقّفة، فإنّها تسيطر عليه. وتأخذ بزمامه. وتسخّره حسب رغباتها، وقد قيل:

---

(١) فلسفة التاريخ / غوستاف لموتون: ١١١.

«الرجل تسيّره كلمة من المرأة، ويعد العسر سهلاً، والمتعذّر سهلاً، والفاسد سائغاً»(١).

إنّ قول المرأة هو الفصل، والرجل مسخّر لإرادتها، لا رأي له قبال رأيها، فإنّ القول ما قالت حذام.

الزينة

من المظاهر البارزة في حياة المرأة حبّها العارم للزينة، زينة الوجه وزينة اللباس، فبها ـ حسب رأيها ـ دعم لكيانها وسموّ لشخصيّتها وجاذبيّتها للنفوس.

قال بعض المعنيّين بشؤون النساء:

«إنّ المرأة قد وهبتها الطبيعة حبّاً حادّاً لكلّ شيء لامع، ولكلّ ما يزيّنها، ويزيد في جمالها؛ لأنّ كلّ شيء فيها يجعلها محتاجة للتزيّن، وليس ذلك فقط بالنسبة لتركيبها الطبيعي، ولكن بالنسبة لوظيفتها الاجتماعيّة أيضاً، وهي الوظيفة التي لا يمكن أن تؤدّيها إلّا بالجاذبة التي توجّهها إلى النفوس، وهي تعرف أن قوّتها تتعلّق بهذه الجاذبة، ولذلك فإنّ كلّ شيء ينفع للزينة يؤثّر عندها تأثيراً شديداً لا تقاومه إلّا بصعوبة، ويوقظ لديها كلّ ميولها، حتّى أنّ أعقلهنّ وأطهرهنّ لا تستثنى من هذه القاعدة»(٢).

---

(١) فلسفة التاريخ / غوستاف لوتون: ١١١.

(٢) دائرة معارف وجدي: ٨٩٦/٨.

يقول إيليا أبو ماضي:

سَعتْ لاحْتِكارِ الْحُسْنِ فيها بـأَسْرِهِ ... وَكَمْ حاوَلَتْ حَسناءُ ما لا يُؤَمَّلُ

وَتَـجْهلُ أَنَّ الْـحُسْنَ ليسَ بِـدائِـمٍ ... وإِنْ هُــوَ إِلّا زَهْـرَةٌ ثُـمَّ تَـذْبلُ

لقد أصبح التفاخر بالأزياء من سمات النساء في هذا العصر الذي أصبحت فيه المرأة العربيّة والمسلمة مقلّدة في لباسها لزيّ النساء الغربيّات اللاتي خلعن الحياء والعفّة والطهارة وانسبن في ميادين الدعارة والمجون.

إنّ تبرّج المرأة بالأزياء الغربيّة قد أشاع الفساد والتحلّل في صفوف الشباب، وأخلد لهم الكثير من المشاكل والعقد النفسيّة.

ومن المؤسف أنّ المرأة تتحلّى بكامل زينتها في خروجها من بيتها ليراها النّاس، وهي لا تتزيّن بمثل ذلك لزوجها، الأمر الذي نجم منه انهيار الأخلاق، وانتشار الطلاق، وإشاعة الرذائل والآثام.

قال النبيّ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَمَرَّتْ عَلىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَها فَهِيَ زانِيَةٌ وَكُلُّ عَيْنٍ زانِيَةٌ**»[١].

وعنه ﷺ: «**إذا تَطَيَّبَتِ المَرأةُ لِغَيْرِ زَوْجِها فَإِنَّما هُوَ نارٌ وَشَنارٌ**»[٢].

حبّ المال

أمّا حبّ المال فهو ظاهرة عامّة شاملة للرجال والنساء، ولكن في النساء

---

(١) كنز العمّال: ١٦/٣٨٣.

(٢) المعجم الأوسط: ٧/٢٤٧. كنز العمّال: ١٦/٣٨١.

أكثر، فقد استوعب حبّه جميع عواطفهنّ، فهنّ لا يرين للزوج أيّة مكانة إذا لم يكن من ذوي الثراء العريض، ومن الطريف ما قاله ابن سيّابة:

«لو كان الرجل في سنّ نوح، وشيبة إبليس، وخلقة منكر ونكير ومعه مال لكان أحبّ إلى المرأة من مقتر فقير في جمال يوسف، وخلقة داود، وسنّ عيسى، وعلم الأحنف..».

وهذا الحكم من ابن سيّابة قاسٍ جدّاً، وهو يتحمّل مسؤوليّة كلامه.

ومن المؤكّد أنّ ذلك لا يتّفق مع أخلاق المرأة المتديّنة، ونحن لا ننكر هذه الظاهرة عند بعض النساء، يقول الشاعر العربي:

فَإِنْ تَسألوني عن النِّساء فإنَّني خَبيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طَبيبُ
إذا شابَ رَأْسُ المَرءِ أَوْ قلَّ مالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنّ نَصيبُ

ومعذرة للنساء الفاضلات من نقل هذه البوادر التي ما أردنا من ذكرها الحطّ من شأنهنّ والتقليل من أهمّيّتهنّ، وإنّما أردنا الفكاهة.

فقْد القناعة

من طبيعة بعض النساء عدم التحلّي بالقناعة التي هي من أجمل الصفات، فإنّها إذا رأت نعمة موفورة عند شخص أو دعيت إلى حفلة نسويّة وشاهدت ما في الدار من الفرش والزخرفة والتحفيّات وغير ذلك من متع الحياة فإنّها تنخر في قلب زوجها لأنّه لا يملك مثل ذلك، ولم تقنع في الحياة معه، وتنظر إلى مَن هو دونها من الفقراء الذين لا يملكون سكناً ولا شيئاً من ضروريّات الحياة،

وتمسّك بالقناعة التي هي كنز لا يفنى.

قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَرادَ أَنْ يَكُونَ أَغْنى النّاسِ فَلْيَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما في يَدِ غَيْرِهِ**»(١).

وعنه ﷺ: «**القَناعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ**»(٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «**مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيا بِما يُجْزيهِ كانَ أَيْسَرُ ما فيها يَكْفيهِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيا بِما يُجْزيهِ لَمْ يَكُنْ فيها شَيْءٌ يَكْفيهِ**»(٣).

الاطراء والمدح

وظاهرة أُخرى من خُلق المرأة وطبيعتها ميلها العارم وحبّها الشديد للمدح والاطراء، فإنّها تجد فيه سموّاً لمكانتها، ودعماً لكيانها، لا سيّما إذا أُطري على حُسنها، الذي هو عندها أعزّ ما تملكه، وقد اتّخذ الماجنون ذلك وسيلة للاتّصال بها وجرّها في مآثم الفجور، يقول الشاعر: «خدعوها بقولهم حسناء». نعم، خدعوها بذلك كما خدعوها بقولهم: إنّها مثقّفة، وأنّها فاقت الشباب في شهادتها ومواهبها، بمثل هذه الاغراءات يملكون عواطفها لتخلع لباس العفّة والطهارة الذي هو مصدر عزّها وفخرها.

إنّ المرأة ـ لقلّة تجاربها في الحياة ـ سريعة التأثّر بما يُغدق عليها من المدح والثناء الكاذب، ولم تلتفت إلى ما خبئ وراء ذلك من الخداع والتضليل.

---

(١) أُصول الكافي: ٢/١٣٩.

(٢) كنز العمّال: ٣/٣٨٩. مجمع الزوائد: ١٠/٢٥٦. نهج البلاغة: ٤/١٤.

(٣) أُصول الكافي: ٢/١٤٨.

الشعور بالضعف

إنّ المرأة مهما بلغت من الرقيّ والتقدّم العلمي والثراء المادي فإنّها تشعر في دخائل نفسها بالضعف، وهذا على الأكثر ـ فيما أحسب ـ ناجم من أيّام طفولتها حينما كانت تعامل في البيت معاملة عادية، ويغدق الأبوان بمزيد من العطف والحنان على الولد الذكر، الأمر الذي نجم منه شعورها بالنقص وعدم مساواتها لأخيها، وظلّ ذلك ملازماً لها طوال حياتها.

لقد حذّر الإسلام أشدّ التحذير من تقديم بعض الأبناء على بعض بالحبّ والعطف والحنان، وأوصى أن يعاملوا بالحسنى معاملة واحدة حذراً من إصابة المفضول بالكبت والعقد النفسيّة، كما أوصى بمراعاة البنت وإكرامها والعطف عليها.

إنّه ليس من الإسلام في شيء تفضيل بعض الأبناء على بعض في الحنان وغيره، فإنّه يترك الكبت في نفس المفضل عليه كما يوجب إشاعة الحقد والعداء بين الأبناء، وقد ضرب الله تعالى لذلك مثلاً في كتابه الكريم باخوة يوسف حينما فضّله عليهم أبوهم يعقوب فعمدوا إلى إلقائه في غيابة الجبّ للتخلّص منه.

الغيرة

ومن ذاتيّات المرأة، ومن أقوى عناصرها النفسيّة الغيرة، ومن أبرز صورها وأكثرها حسّاسيّة إذا تزوّج زوجها امرأة أُخرى فإنّها تفقد صوابها، وترمي زوجها بالخيانة، وتتبدّل المحبّة والمودّة بينهما إلى الكراهية والبغضاء، وتطالب بعض النساء بحلّ الرابطة الزوجيّة بينهما، والخروج من عهدته، فهي تريد الزوج ملكاً خالصاً لها لا يشاركها فيه أحد، ويبقى ذلك ملازماً لها طوال حياتها.

ومن مظاهر ذلك أنّه لو ماتت زوجته وتزوّج أُخرى، وأثنى على زوجته

الأولى لما أسدته عليه من الخدمات فإنّه يسيئها ، ومن أمثلة ذلك ما رواه المؤرّخون أنّ النبيّ ﷺ كان يشيد دوماً بأُمّ المؤمنين خديجة ، ويذكرها بمزيد من التكريم والثناء عليها لما أسدته عليه من الخدمات ، وما بذلته من ثرائها العريض للإسلام ، وكان من وفائه لها إذا ذبح شاة أخذ أطائب اللحم وبعثه إلى صديقات خديجة ، وكان ذلك يغيظ عائشة حيث قالت للنبيّ:

« ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد أبدلك الله تعالى خيراً منها ؟ ».

فأجابها النبيّ ﷺ :

« ما أَبْدَلَني اللهُ خَيْراً مِنْها ، آمَنَتْ بي حينَما كَفَرَ بي النّاسُ ، وَواسَتْني بِمالِها حينَما حَرَمَني النّاسُ ، وَرُزِقْتُ مِنْها الْوَلَد ـ يعني سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ـ وَحُرِمْتُ ذلِكَ مِنْ غَيْرِها ».

وهذا من الأسباب التي أدّت إلى بغض عائشة لسيّدة النساء فاطمة زهراء الرسول ﷺ سلام الله عليها.

وعنه ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعالىٰ كَتَبَ الْغَيْرَةَ عَلَى النِّساءِ وَالْجِهادَ عَلَى الرِّجالِ فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُنَّ إيماناً وَاحْتِساباً كانَ لَها مِثْلُ أَجْرِ الشَّهيدِ »[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وَإِيّاكَ وَالتَّغايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحيحَةَ إِلَى السَّقَمِ ، وَالْبَريئَةَ إِلَى الرِّيَبِ »[٢].

ومن الجدير بالذكر أنّه طلب منّي أن أُجري عقد النكاح لشخص على امرأة ،

---

(١) كنز العمّال : ١٦/٤٠٧.

(٢) نهج البلاغة : ٤٠٥.

فطلبت منّي أن أذكر في متن العقد أن لا يتزوج عليها امرأة أُخرى ، وعرضت ذلك عليه فرضي به ، وهذا منتهى كراهية المرأة لمن تكون ضرّة لها ، وفيما أحسب أنّ للمرأة وجهاً في هذه الكراهية؛ لأنّ الزوج إذا تزوّج بأُخرى فإنّه على الأكثر يعرض عنها ، وتكون في سلّة المهملات ، ويكون اتّجاهه وميوله للثانية ، والذي أراه أنّ الرجل إنّما يتزوّج بأُخرى لإهمال الأُولى بعض حقوقه ورغباته الجنسيّة ، فيضطرّ إلى الزواج ثانية ، وسنعرض لذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

عادة غريبة

من العادات الغريبة عند النساء في منطقتنا أنّ المرأة إذا زارت امرأة أُخرى وانتهت مراسم الزيارة وخرجت لتوديعها فعند الخروج من الباب إلى الشارع يأخذن في الحديث من جديد ، ولا ينتهين منه إلّا بعد وقت غير قصير ، وكأنّهما لم يتعاطيا الحديث سابقاً ، وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض غرائز المرأة وطباعها.

المرأة

في ظلمات الجاهلية

عانت المرأة في ظلمات الجاهليّة من الشقاء ما لا يوصف لمرارته وقسوته، فقد أحاطت بها الخطوب، وخيّم عليها الظلم والجور، وتحكّم في مصيرها الجفاة الذين لم تعرف ضمائرهم الرحمة والرأفة، وقد التاع بعض الشعراء على كلّ فتاة مهضومة سواء في الجاهليّة أم في غيرها، قال:

بِنَفْسي كُلُّ مَهْضومٍ حَشاها ... إذا ظُلِمَتْ فَلَيسَ لَها انْتِصارُ

لقد عاشت المرأة في العصور المظلمة حياة بائسة لا ظلّ فيها للكرامة تتلقّ الصدمات والإهانة من زوجها وأسرتها، وليس لها ركن شديد يحميها من الظلم والاضطهاد، وهذا عرض موجز لبعض شؤونها:

التبشير بالمولودة الأُنثى

إنّه يوم أسود على الزوج وعلى الأُسرة إذا ولدت المرأة بنتاً، وقد حكى القرآن هذه الظاهرة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1].

---

(١) النحل ١٦: ٥٨ و ٥٩.

حكت الآية أنّ الأب في العصر الجاهلي إذا بشّر بولادة زوجته أنثى اسودّ وجهه من الغيظ، ويستخفي من سوء ما بُشّر به، ويتفكّر في الأمر أيمسك البنت على ذلّة من حفظها أم يخفيها في التراب، فقد جرت عادتهم على أن يحفروا للأنثى حفرة، ويحثوا عليها التراب(١).

لقد عانت الأمّ صنوفاً قاسية من الألم إذا ولدت أنثى؛ لأنّها تفقد الرعاية من زوجها، وتزداد محنتها إذا تكرّرت ولادتها للأنثى ولم ترزق ذكراً، وقد تصاب بصدمة نفسيّة حادّة تؤدّي إلى مرضها أو وفاتها، ولا تزال هذه الحالة سائدة في مجتمعنا حتّى يوم النّاس هذا.

وأد البنات

وشاعت في بعض القبائل العربيّة وأد البنات لأنّهم يرونها عاراً عليهم، وقد أُثر عنهم القول: «وأد البنات من المكرمات»، وفيهم نزلت الآية: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾(٢)، وقد يتأخّر وأد البنت لسفر أبيها، فإذا جاء من سفره عمد إلى وأدها، وكان بعضهم يلقي البنت من شاهق فتموت(٣).

كما عمد بعضهم إلى قتل أطفالهم من الذكور والاناث خوفاً من الإملاق، وفيهم نزلت الآية: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾(٤).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/٢٧٧.

(٢) التكوير ٨١: ٨ و ٩.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ٥٧.

(٤) الإسراء ١٧: ٣١.

لقد عمدوا إلى قتل أبنائهم خشية الفقر والبؤس، ودلّ ذلك على مدى الانحطاط الفكري وانعدام الرأفة والرحمة في نفوسهم.

قسرها على الزواج

من المظالم المرهقة للمرأة في العصر الجاهلي، بل وفي هذا العصر عند بعض القبائل قسر المرأة على زواج من لا تميل إليه، كإجبارها على الزواج بابن عمّها، أو بعض أقاربها الذين لا تطيب نفسها بهم، فتجبر على ذلك، وهو مجافٍ لشريعة الإسلام التي جعلت لها الحريّة الكاملة في اختيار من ترغب في زواجه مع إشارة أبيها في ذلك.

عضلها عن الزواج

وممّا عانته المرأة من الظلم والاعتداء أن وليّ أمرها وهو الأب أو اخوانها يعضلونها ويمنعونها من الاقتران بالشخص الذي تميل إليه، وهذه الظاهرة سائدة حتّى في هذا العصر، أمّا موقف الإسلام من ذلك، فإنّ الشخص الذي تميل له إن كان كفواً لها وملتزماً بالطقوس الدينيّة، فليس لأحد أن يعضلها، وإذا كان منحرفاً في سلوكه ودينه فعلى وليّ أمرها أن يبيّن لها سقوطه، وأنّه يجرّ لها الويل والعذاب، وقد ملئت المحاكم الشرعيّة من كثرة الطلاق من عدم إيمان الزوج وانحطاطه في سلوكه وغير ذلك.

معاملتها كالمتاع

من مآسي المرأة في العصر الجاهلي أنّها كانت تُعامل كأحطّ متاع، فإذا توفّي الشخص وخلّف زوجة فإنّها تكون من جملة المواريث ويعاملها ابن الميّت

الأكبر بالشدّة والصرامة، ومن بين الاجراءات القاسية التي تعامل بها:

١ ـ زواج الولد بها إن شاء، ونزلت الآية الكريمة في تحريمه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[1].

٢ ـ يزوّجها الولد بمن شاء ويأخذ مهرها.

٣ ـ يبقيها خادمة له من دون أن تكون لها حرية أو اختيار.

٤ ـ حرمانها من الإرث، لا ترث ولا تورّث، إلى غير ذلك من الاجراءات الظالمة التي عوملت بها المرأة في العصر الجاهلي الذي تنكّر لجميع حقوقها، وبنى على ظلمها وإذلالها.

المرأة في جاهليّة الغرب

وشقيت جمهرة من النساء في الغرب، وفي النظم الاشتراكيّة، فاشتركن مع الرجال في أشقّ الأعمال وأكثرها جهداً.

وقد نعى الشاعر المجدّد إيليا أبو ماضي ذلّ المرأة وهوانها في المعامل. يقول:

سَجَّلَ العارُ علينا مَعْشَرٌ ... سَجَّلوا الْمَرأةَ بينَ الْهَمَلِ

فَهيَ إمّا سِلْعَةٌ حامِلَةٌ ... سِلَعاً أو آلةٌ في المَعْمَلِ

تَتَهاداها الموامي[2] والرُّبى ... فَهيَ كالدّينارِ بينَ الأَنْمُلِ

---

(١) النساء ٤: ٢٢.

(٢) الموامي: السباسب، أو الفلوات والمفازات الواسعة.

إنّ المرأة لم تخلق للمعامل والعمل المرهق، ولا لكسب المال، ولم تخلق لتباع وتشترى لكسب المال في أسواق السفلة والمفسدين، وإنّما خُلقت لتكون سيّدة، والرجل في خدمتها، ولها محلّ واحد وهو تربية النشء وتهذيب سلوكه وطباعه.

إنّ الكثير من النساء في الغرب وفي الأنظمة الاشتراكيّة قد فقدن الراحة، وغرقن في متاهات سحيقة من أتعاب الحياة وجهدها، فيسعين بلهفة لتحصيل الرغيف ولا يظفرن به إلّا بعد جهد شاقّ وعسير، لقد فقدن السعادة وتحوّلن إلى آلة سلبت منها الإرادة والاختيار.

انحلال الأُسرة

وكان من مظاهر الحياة الغربيّة تحلّل الأُسرة، وانعدام الروابط الاجتماعيّة بين الآباء وأبنائهم، وبين الاخوان وأخواتهم وسائر أبناء الأُسرة، ويعيش الطاعن في السنّ حياة بائسة حزينة. قد اتّخذ الكثيرون منهم الكلاب لهم أصدقاء، وأُنساً من الوحشة، وحرموا من أبنائهم وبناتهم، وفيما أحسب أنّ هذه الظاهرة من أقسى ألوان الحياة التي يعيشونها.

فأي حياة أمرّ وأقسى من الحياة التي لا وجود للأُسرة فيها، ومن الجدير بالذكر أنّ الشخص إذا توفّي عمدت البلدية إلى مواراته، ولا ينعم برؤية أبنائه وأحفاده.

الفجور

وثمّة بادرة خطيرة في نساء الغرب اللاتي انتشرن في المدارس والمعاهد المختلطة أنّهنّ خلعن ثياب العفّة والحياء والطهارة، وشاع فيهنّ اقتراف البغاء،

وصار ذلك أمراً مألوفاً أمام الأعين، وقد نجم منه أن ملئت المستشفيات ودور الأطباء بالمصابات والمصابين بالأمراض الجنسيّة، والتي منها:

الزهري:

وهو من الأمراض الخطيرة الشائعة في الغرب، والتي يذهب ضحيّتها مئات الآلاف، فقد ذكر الدكتور الفرنسي (لبريد) أنّه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري، وما يتبعها من الأمراض الكثيرة في كلّ سنة، وهذا المرض من أفتك الأمراض بالأُمّة الفرنسيّة بعد حُمى الدقّ(١).

أمّا في أمريكا فإنّه يعالج في المستشفيات مائتا ألف مريض مصاب بالزهري(٢)، وقد خصّصت لمرض الزهري وسائر الأمراض الجنسيّة ستمائة وخمسون مستشفى عدا دور الأطباء.

ويبلغ عدد وفيات الأطفال في الولايات المتّحدة ما بين ثلاثين ألف إلى أربعين ألف من المصابين بمرض الزهري الموروث، هذا عدا الخسائر المالية التي لا تقدّر.

إنّ هذا المرض الخبيث يصيب جميع أجهزة الجسم كالجهاز العصبي والتنفّسي والهضمي وغيرها، كما يصيب العظام والمفاصل وجميع غدد الجسم، ويعاني المريض من آلامه وأوجاعه ممّا لا سبيل إلى تصويره، ولا يستريح المصاب به إلّا بالموت الذي ينقذه من آلامه، وقد عنت كتب الطبّ بتفصيل أضراره(٣).

---

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ٣٨٨.

(٢) دائرة المعارف البريطانية: ٤٥/٢٣.

(٣) النظام التربوي في الإسلام: ٣٢٥.

السيلان

وهو من الأمراض الناشئة من الزنا ، ويصيب المجاري البوليّة كما يصاب بالعمى أبناء الزاني ، وله كثير من المضاعفات السيّئة حفلت بها كتب الطب[(١)].

السفلس

من الأمراض الفتّاكة التي يصاب بها الزناة ، وهو من أخبث الأمراض ويسمّى بقرد الأمراض ، ويصيب أي عضو في البدن أو أي نسيج فيه ، وفي الدور الأوّل منه تتكوّن في الجسم قرحة تسمّى (الشنكر) ، وفي الدور الثاني تصيب جميع أجزاء البدن بقع حمراء ، وفي الدور الثالث يصاب أحد الأجهزة الرئيسيّة في الإنسان كالدماغ ويصاب بالجنون ، وقد يصيب النخاع الشوكي فيؤثّر الشلل ، وقد يصيب القلب أو الأوعية الدمويّة فيؤدّي إلى أمراض القلب.

ومن آثاره السيّئة أنّ المرأة الحامل إذا كانت مصابة به فإنّه يؤثّر على حملها تأثيراً مباشراً فيصاب بتشوّهات خُلقيّة ، وفي بعض الأحوال تلده ميّتاً[(٢)].

القرحة الرخوة

وتتكوّن من قرحة ليّنة حمراء غير قابلة للشفاء وتؤثّر على الجسم تأثيراً سيّئاً ، وقد نصّت كتب الطب الحديث على الكثير من مضاعفاته السيّئة.

هذه بعض الأمراض الناشئة من الزنا الذي عبّر عنه القرآن :

---

(١) النظام التربوي في الإسلام : ٣٢٦.

(٢) أُسس الصحّة والحياة : ٢٠٨.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[(١)].

وقد بُلي الإنسان بأخبث مرض من جرّائه وهو الايدز الذي فتك بملايين البشر وعجز الطبّ عن مداواته والقضاء عليه، ويذهب ضحيّته ملايين البشر في اوربا وغيرها من القارّات التي شاع فيها الزنا، ومضافاً لذلك فإنّ في الزنا تضييعاً للنسل وهدماً لكيان الأُسرة وغير ذلك من الأضرار الاجتماعيّة.

(١) الإسراء ١٧: ٣٢.

المرأة

في ظل الإسلام

ما أعظم عائدة الإسلام ورحمته ونعمته على المرأة، فقد أنقذها من المتاهات السحيقة التي عاشتها بذلّ وبؤس ومرارة، وأقام لها كياناً متميّزاً، ومكانة مرموقة، وأحاطها بهالة من التكريم والتعظيم لم تجد لها مثيلاً في الأديان السماويّة والمذاهب الاجتماعيّة..

وهذا عرض لبعض ما جاء في الإسلام في حقّها.

وصيّة النبيّ ﷺ بالمرأة

أوصى النبيّ ﷺ المسلمين في حجّة الوداع بالمرأة. قال ﷺ:

«أُوصيكُمْ بِالنِّساءِ خَيْراً، فَإِنَّما هُنَّ عَوارٍ عِنْدَكُمْ لا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً، وَإِنَّما أَخَذْتُموهُنَّ بِأَمانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بِكِتابِ اللهِ تَعالىٰ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقُّ كِسْوَتُهُنَّ وَرِزْقُهُنَّ بِالْمَعْروفِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يوطِئْنَ فِراشَكُمْ أَحَداً، وَلا يَأْذَنَّ في بُيوتِكُمْ إِلَّا بِعِلْمِكُمْ...»(١).

أرأيتم هذا التكريم والرعاية للمرأة والحثّ على سلامتها، فإنّها أمانة بيد الزوج،

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٩١ ـ ٩٢.

فيجب عليه حفظها وصيانتها من كلّ إساءة ومكروه.

وقد أكدّ النبيّ ﷺ على ضرورة البرّ بالمرأة والإحسان إليها، قال ﷺ:

«**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلي ما أكْرَمَ النِّساءَ إلّا كَريمٌ وَلا أهانَهُنَّ إلّا لَئيمٌ**»[1].

ومن أظهر ألوان البرّ بها أن لا يخدش عاطفتها، ولا يسيئ لها بقول أو فعل، حسب ما أمر الله تعالى به. قال في محكم كتابه: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[2].

وكان من تعظيم النبيّ ﷺ للمرأة أنّه جعل الجنّة تحت أقدام الأمّهات كما في الحديث؛ وذلك لما تعانيه من الآلام المرهقة في حال ولادتها، وربّما يفاجأها الأجل فيكون مصيرها إلى الفردوس الأعلى.

حقوقها

أمّا الحقوق التي شرعها الإسلام للمرأة فتضمن كرامتها، وتصون شرفها، وتحميها من متاعب الحياة، وتجعلها سيّدة كريمة زعيمة الأُسرة، ومربّية الجيل، ومهذّبة النشء، وهذا عرض لبعض ما شرّعه الإسلام لها من أحكام:

مساواتها للرجل في الأحكام

ساوى الإسلام في تشريعه للأحكام بين الذكر والأُنثى. قال تعالى:

﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**

(١) نظام الأُسرة في الإسلام: ٥٨.

(٢) النساء ٤: ١٩.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

فلا فرق في الجزاء والأجر الذي يترتّب على العمل الصالح الذي يصدر من الذكر أو الأُنثى فهما على حدّ سواء، وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢].

إنّ أكرم النّاس وأفضلهم عند الله تعالى أتقاهم، من دون فرق بين الذكر والأُنثى.

لقد تساوت المرأة مع الرجل في جميع الأحكام التي فرضها الله تعالى على عباده فهي والرجل سواء في هذه الأحكام:

١ ـ الصلاة.

٢ ـ الزكاة.

٣ ـ الحجّ.

٤ ـ الصوم.

٥ ـ الخمس.

وجميع ما يتعلّق بهذه الواجبات من الأحكام من إطاعتها أو عصيانها، فإنّ المرأة مساوية للرجل فيها.

الملكيّة

للمرأة الحقّ الكامل في شريعة الإسلام في أن تملك من الأموال ما ينقل

---

(١) النحل ١٦: ٩٧.

(٢) الحجرات ٤٩: ١٣.

وما لا ينقل، كالعقارات والأراضي وغيرها، فيجوز لها شراءها وبيعها وإعارتها ورهنها، وسائر ألوان التصرّف استقلالاً، وليس لأحد عليها من سلطان، فهي كسائر المـلّاك حرّة في التصرّف في أموالها، فلها أن تدخل في ميدان التجارة، وتضارب بأموالها كالرجل. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾(١).

أمّا في النظام البريطاني فلم يبح لها التصرّف بأموالها المنقولة، ووضع عليها حاجزاً وحجر عليها إلّا بإذن زوجها وإجازته.

الإرث

أمّا المرأة في شريعة الإسلام فهي كالرجل ترث حسب السهام المقرّرة لها من كونها زوجة، فترث الثمن مع وجود الأولاد للزوج والربع مع عدمهم، وإذا كانت بنتاً فترث سهماً ولأخيها سهمان، حسب ما ورد في القرآن: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(٢).

وليس ذلك للحطّ من شأنها، والتقليل من أهمّيتها، وإنّما مراعاة للاقتصاد العامّ، فإنّ المرأة إذا كانت متزوّجة فإنّها مكفيّة المؤونة، والزوج مسؤول عن جميع نفقاتها، وكذلك ترث المرأة إذا كانت أختاً للميّت أو عمّة أو جدّة حسب

---

(١) النساء ٤: ٣٢.

(٢) النساء ٤: ١١.

ما قرّره الإسلام لها، وقد عرضت كتب المواريث إلى ذكر ميراثها في جميع طبقات الإرث، مستدلّين في ذلك بقوله تعالى:

﴿ لِلْرِجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلْنِسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾[١].

العلم

من حقوق المرأة في الإسلام طلب العلم، فلا يختصّ ذلك بالرجل، ففي الحديث:

«طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»[٢].

ولا يختصّ ذلك بعلم دون آخر، فإنّ الألف واللام في العلم تفيد الجنس لسائر العلوم كالطبّ والصيدلة والكيمياء والفيزياء، والفقه والتأريخ والأدب وباقي العلوم.

إنّ الإسلام بكلّ اعتزاز حارب الجهل، واعتبره آفة مدمّرة للحياة، وأهاب بالمسلمين والمسلمات بعدم الاتّصاف به وقد اشتكى حافظ إبراهيم من جهل المسلمات في مصر ورفع شكواه إلى عائشة، قال:

أَأُمَّ المُؤمنينَ إِلَيكَ نشكو مُصيبتَنا بجهلِ المُؤمِناتِ
وَتِلكَ مُصيبةٌ يا أُمُّ مِنها نَكادُ نغُصُّ بالماءِ الفُراتِ

إنّ تعلّم العلم بجميع أنواعه حقّ طبيعي للمسلمين ذكوراً وإناثاً، سوى تولّي

(١) النساء ٤: ٧.

(٢) مشكاة الأنوار: ١٣٣. غوالي اللئالي: ٤/٧٠. بحار الأنوار: ١/١٧٧. مستدرك الوسائل: ١٧/٢٤٨.

منصب القضاء، فإنّه لا يحقّ للمرأة أن تتولّاه لا للحطّ من شأنها وإنّما لأهمّيته، فهو يحتاج إلى دقّة وعمق نظر وإرادة صلبة لا تؤثر أحداً على أحد وغير ذلك من شؤون القضاء التي لا تتوفّر في المرأة، فلذلك حجبه الإسلام عنها.

الحجاب

أمّا الحجاب فهو زينة للمرأة وشرف لها، ودليل على عفّتها وطهارتها، وقد جاء الأمر به صريحاً في القرآن. قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام: «فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ».

إنّ الإسلام إنّما أمر بالحجاب ونهى عن التبرّج والاختلاط المريب صيانة لكرامة المرأة، ووقاية لشرفها، فإنّ السفور له مضاعفاته السيّئة التي منها:

١ ـ إنّه يشيع الفساد والتحلّل في نفوس الشباب الذين تغريهم الأزياء والزينة، الأمر الذي يسبّب إثارة الغريزة الجنسيّة وملاحقتهم للنساء.

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٥٣.

٢ ـ إنّ السفور على الأكثر يؤدّي إلى إشاعة الطلاق؛ لأنّ الشاب حينما يشاهد جمالاً مغرياً لا يوجد عند زوجته فإنّه يزهد فيها، لا سيّما إذا حصل ترابط واتّصال بينه وبين الفتاة السافرة فإنّه بالطبع يؤدّي إلى الخراب وفصم الرابطة الزوجيّة، وقد عجّت المحاكم الشرعيّة بالطلاق، وهو مسبّب على الأكثر من التبرّج والسفور.

النظرة الآثمة

منع الإسلام من النظرة الآثمة للنساء، وأمر بغضّ الأبصار. قال تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(١).

وفي أحاديث أهل البيت ﷺ النهي عن النظرة المريبة.

١ ـ قال النبيّ ﷺ: **«ما مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إلى امْرَأةٍ أوّلَ رَمْقَةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلّا أحْدَثَ اللهُ تَعالىٰ لَهُ عِبادَةً يَجِدُ حَلاوَتَها في قَلْبِه»**(٢).

٢ ـ وعنه ﷺ: **«النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهامِ إبْليسَ»**(٣).

٣ ـ وعنه ﷺ: **«اِضْمَنُوا لي سِتّاً مِنْ أنْفُسِكُمْ أَضْمِنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: أَصْدِقُوا إذا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إذا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إذا ائْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُروجَكُمْ وَغُضُّوا**

---

(١) النور ٢٤: ٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٦٤. كنز العمّال: ٥/٣٢٧. مجمع الزوائد: ٨/٦٣. الدر المنثور: ٥/٤١.

(٣) الكافي: ٥/٥٥٩، الحديث ١٢. الفقيه: ٤/١٨، الحديث ٤٩٦٩. وسائل الشيعة: ١٤/٦٠ مجمع الزوائد: ٨/٦٣. كنز العمّال: ٥/٣٢٩.

أَبصارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُم»[١].

٤ـ وعنه ﷺ: «زِنَا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ»[٢].

٥ـ وقال الإمام الصادق ؑ: «النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهامِ إِبْليسَ مَسْمُومٌ، وَكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَوْرَثَتْ حَسْرَةً طَويلَةً»[٣].

٦ـ وقال ؑ: «أَوَّلُ نَظْرَةٍ لَكَ، وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ، وَالثَّالِثَةُ الْهَلاكُ»[٤].

إنّ النظرة الآثمة إلى المرأة، وإظهار الحبّ المزيّف لها ممّا يغريها ويجرّها إلى ميدان الدعارة، وقد قيل: نظرة فابتسامة، فوعد، فلقاء.

إنّه ينبغي للمؤمن أن يغضّ بصره عن النظر إلى ما حرّم الله تعالى لئلّا يقع في شباك الشيطان.

صور الجنس:

إنّ الصور الخلاعيّة التي تبثّها بعض المحطّات والمسجّلة في الأقراص تفتك فتكاً ذريعاً بالفتيان والفتيات على السواء، وتدفعهم إلى ميادين الدعارة والمجون، كما تؤدّي إلى الإضرار بالصحّة، والانصراف عن الدراسة وذلك لما تتركه من الهيجان في النفس.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٣٢٣/٥. السنن الكبرى: ٢٨٨/٦. كنز العمّال: ٨٩٣/١٥. بحار الأنوار: ١٧٠/٧٧.

(٢) صحيح مسلم: ٥٢/٨. مسند أحمد بن حنبل: ٥٣٦/٢. كنز العمّال: ٣٢٤/٥. الكافي: ٥٥٩/٥، الحديث ١١ عن الإمام الصادق ؑ.

(٣) فروع الكافي: ٥٥٩/٥، الحديث ١٢.

(٤) وسائل الشيعة: ١٩٣/٢٠.

الزواج:

منح الإسلام الحريّة للفتاة في اختيار من تريد الزواج به، ولكن بعد استشارة أبيها وموافقته، حسبما يذهب إليه بعض الفقهاء؛ لأنّه أدرى منها بشؤون النّاس، وخوفاً عليها من أن يغريها شخص لا خلاق له ولا دين له، فيحوّل حياتها إلى بؤس وشقاء، هذا إذا كانت الفتاة باكراً، أمّا إذا كانت ثيّباً فلا سلطان للأب عليها ولها الحريّة في اختيار من تشاء.

أمّا إذا لم ترغب في الزواج من شخص فليس لأبيها أن يرغمها على الزواج منه، سواء أكان قريباً له أو بعيداً عنه، كما أنّه يشترط في ولاية الأب على ابنته مراعاة مصلحتها، ولا ينساب وراء رغباته التي هي بعيدة عن مصلحة بنته، فإنّ ولايته عليها غير نافذة.

الفحص عن الزوج

ينبغي للمرأة أن تفحص فحصاً دقيقاً عن الزوج الذي تقترن به، وتقف على دينه، ولا يغريها المال والمنصب، كما عليها أن تتعرّف على طباعه وميوله واتّجاهاته، ولا تقدم على الزواج إلّا بعد الاطّلاع على معرفته لئلا تقع في هوّة سحيقة ما لها من قرار.

قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن

---

(١) النور ٢٤: ٣٢.

مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

الصفات الحسنة

أمّا الصفات الفاضلة التي ينبغي أن تتوفّر في الرجل، فهي:

١ ـ الكفاءة

على المرأة المسلمة أن تختار الكفوء زوجاً لها، ونعني به أن يكون مؤمناً، صالحاً، متحلّياً بحسن الأخلاق ومكارم الآداب، وذا قدرة على إعالة زوجته.

وليست الكفاءة بما يملك من القصر والسيّارة والرصيد المالي في البنوك، والشهادة العالية، والوظيفة المرموقة، فقد يكون مالكاً لها ولكن ليس عنده رصيد ديني، فإنّ المرأة تعيش معه في شقاء ومحنة وعذاب، فقد تحدّث النبيّ والأئمّة عليهم السلام بذلك.

الأحاديث الشريفة

١ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

«أيُّها النّاسُ، إنَّ جبْرائيلَ أَتاني عَنِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ فَقالَ: إنَّ الأَبْكارَ بِمَنْزِلَةِ الثَمرِ عَلَى الشَّجرِ، إذا أَدْرَكَ ثِمارُها فَلَمْ تُجْتَنَ أَفْسَدَتْهُ الشَّمْسُ، وَنَثَرَتْهُ الرِّياحُ، وَكَذلِكَ الأَبْكارُ، إذا أَدْرَكْنَ ما يُدْرِكُ النِّساءُ فَلَيْسَ لَهُنَّ دَواءٌ

---

(١) البقرة ٢: ٢٢١.

إِلَّا الْبُعولَةُ ، وَإِلَّا لَمْ يُؤْمنْ عَلَيْهِنَّ الْفَساد ؛ لأَنَّهُنَّ بَشَرٌ».

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله ، فمن نزوّج ؟ فقال: «**الأكفاء**» ، فقال: ومَن الأكفاء ؟ فقال: «**الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَكْفاءُ بَعْضٍ ، الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَكْفاءُ بَعْضٍ**»(١).

٢ ـ في الحديث النبوي: «**النِّكاحُ رِقٌّ ، فَإِذا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ وَليدَتَهُ فَقَدْ أَرَقَّها ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ لِمَنْ يُرِقُّ كَريمَتَهُ**»(٢).

٣ ـ وعنه ﷺ: «**زَوِّجوا الْأَكْفاءَ وَتَزَوَّجوا الْأَكْفاءَ ، وَاخْتارُوا لِنُطَفِكُمْ**»(٣).

٤ ـ وعنه ﷺ: «**ثَلاثٌ لا تُؤَخِّروهُنَّ: الصَّلاةُ إِذا أَتَتْ ، وَالْجِنازَةُ إِذا حَضَرَتْ ، وَالْأَيِّمُ إِذا وَجَدَتْ كُفْؤاً**»(٤).

٥ ـ وعن أبي عبدالله ﷺ أنّه قال: «**الْكَفوءُ أَنْ يَكونَ عَفيفاً وَعِنْدَهُ يَسارٌ**»(٥).

٦ ـ ونعرض إلى قصّة جويبر ، ففيها تجسيد رائع لمُثل الإسلام الكريمة:

قال الإمام أبو جعفر ﷺ: «**إِنَّ رَجُلاً كانَ مِنْ أَهْلِ الْيَمامَةِ يُقالُ لَهُ جُوَيْبِرُ ، أَتىٰ رَسولَ اللهِ ﷺ منتجعاً لِلْإِسْلام ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ ، وَكانَ قَصيراً دَميماً مُحْتاجاً عارِياً ، فَنَظَرَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرَحْمَةٍ وَرِقَّةٍ وَقالَ لَهُ:**

---

(١) الوسائل: ٦١/٢٠.

(٢) الوسائل ـ كتاب النكاح: ٧٩/٢٠.

(٣) كنز العمّال: ٣١٧/١٦.

(٤) سنن الترمذي: ١١١/١. المستدرك على الصحيحين: ١٦٢/٢. كنز العمّال: ٥١٣/٣.

(٥) الوسائل: ٧٦/٢٠.

يا جُوَيْبِرُ، لَوْ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً فَعَفَفْتَ بِها فَرْجَك، وَأَعانَتْكَ عَلىٰ دُنْياكَ وَآخِرَتَكَ.

فَقالَ لَهُ جُوَيْبِرُ: يا رَسولَ اللهِ، بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي، مَنْ يَرْغَبُ فيَّ، فَوَاللهِ ما مِنْ حَسَبٍ وَلَا نَسَبٍ وَلَا مالٍ وَلَا جَمالٍ، فَأَيَّةُ امْرَأَةٍ تَرْغَبُ فِيَّ؟

وَتَأَثَّر النَّبِيُّ ﷺ وَقالَ لَهُ: يا جُوَيْبِرُ، إِنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ بِالْإِسْلامِ مَنْ كانَ في الْجاهِلِيَّةِ شَريفاً، وَشَرَّفَ بِالْإِسْلامِ مَنْ كانَ في الْجاهِلِيَّةِ وَضيعاً، وَأَعَزَّ بِالْإِسْلامِ مَنْ كانَ في الْجاهِلِيَّةِ ذَليلاً، وَأَذْهَبَ بِالْإِسْلامِ ما كانَ مِنْ نَخْوَةِ الْجاهِلِيَّةِ وَتَفاخُرِها بِعَشائِرِها، وَباسِقِ أَنْسابِها، فَالنّاسُ الْيَوْمَ كُلُّهُمْ أَبْيَضُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ، وَقُرَشِيُّهُمْ وَعَرَبِيُّهُمْ وَعَجَمِيُّهُمْ مِنْ آدَمَ، وَأَنَّ آدَمَ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طينٍ، وَأَنَّ أَحَبَّ النّاسِ إِلَى اللهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ وَأَتْقاهُمْ. وَما أَعْلَمُ يا جُوَيْبِرُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَضْلاً، إِلَّا لِمَنْ كانَ أَتْقىٰ للهِ مِنْكَ وَأَطْوَعَ.

....انْطَلِقْ يا جُوَيْبِرُ إِلىٰ زِيادِ بْنِ لَبيدٍ، فَإِنَّهُ مِنْ أَشْرَفِ بَني بَياضَةَ حَسَباً فيهِمْ فَقُلْ لَهُ: إِنّي رَسولُ رَسولِ اللهِ ﷺ إِلَيْكَ، وَهُوَ يَقولُ لَكَ: زَوِّجْ جُوَيْبِراً بِنْتَكَ الزَّلْفاءَ.. وانْطَلَقَ جُوَيبِر إِلىٰ زِيادٍ فَبَلَّغَهُ بِمَقالَةِ النَّبِيِّ ﷺ فاسْتَجابَ لَهُ، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَه»[١].

٢ ـ السخاء

أن يكون الزوج الذي تختاره المرأة ندي الكفّ، بعيداً عن البخل والشحّ، فإنّ الحياة مع البخيل لا تطاق.

---

(١) نظام الأسرة في الإسلام: ٥٥ و ٥٦.

٣ ـ البارّ بوالديه

ينبغي للمرأة أن تتزوّج بشخص بارّاً بأبويه ليرزقها الله تعالى ذريّة صالحة منه.

لقد أحاط القرآن الكريم الأبوين بهالة من التقدير والتعظيم، قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[١].

وقال تعالى: **﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾**[٢].

وإلى جانب القرآن الكريم أحاديث أهل البيت ﷺ تحثّ على البرّ بالوالدين، كان منها:

١ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر ﷺ: **«ثَلاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعالىٰ فِيهِنَّ رُخْصَةً: أَداءُ الْأَمانَةِ إِلَى الْبِرِّ وَالْفاجِرِ، وَالْوَفاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفاجِرِ، وَبِرُّ الْوالِدَيْنِ بَرَّيْنِ كانا أَوْ فاجِرَيْنِ»**[٣].

---

(١) الإسراء ١٧: ٢٣ و ٢٤.

(٢) سورة لقمان ٣١: ١٤ و ١٥.

(٣) الوافي: ٩٣/٣.

٢ ـ قال الإمام الصادق ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُخَفِّفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَراتِ الْمَوْتِ فَلْيَكُنْ لِقَرابَتِهِ وَصولاً، وَبِوالِدَيْهِ بارّاً، فَإذا كانَ كَذلِكَ هَوَّنَ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِ سَكَراتِ الْمَوْتِ، وَلَمْ يُصِبْهُ في حَياتِهِ فَقْرٌ أَبَداً»[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث عن مراكز الوحي ودعاة الحقّ، وهي تلزم البرّ بالوالدين، ومن المؤكّد أنّ البرّ بهما من نتائجه أنّ ذرّيّة البارّ تكون طيّبة وبارة وزكيّة.. هذه بعض الصفات الكريمة التي ينبغي أن تتوفّر في الرجل الذي تريد أن تقترن به المرأة المسلمة لتعيش سعيدة في ظلاله.

الصفات الممقوتة

على المرأة التي تريد السعادة لها ولأبنائها أن تبتعد عن الزواج من رجل متصف بالصفات الذميمة، والنزعات الشريرة، كما ينبغي لأبيها الذي هو وليّ أمرها أن يجتهد في التعرّف عليه لئلا تقع كريمته عند شخص لا خلاق له، أمّا الصفات الذميمة التي حذّر منها الإسلام فهي:

١ ـ شرب الخمر

أمّا الخمر فهو كارثة مدمّرة للصحّة والأخلاق والاقتصاد، وهو من كبائر الذنوب التي توعّد الله تعالى شاربها بالنّار، ففي الحديث: «شارِبُ الْخَمْرِ كَعابِدِ الْوَثَنِ»[٢].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٧٣.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢/١٢٠. كنز العمّال: ٥/٣٤٨. الكافي: ٦/٢٤٣ عن الإمام الصادق ﷺ، الفقيه: ٣/٣٤٦. تهذيب الأحكام: ٩/١٢٨.

على المرأة وعلى وليّ أمرها أن يفحصا عن ذلك فحصاً دقيقاً، فإن كان الرجل يتعاطى الخمر فليس لها من سبيل أن تقترن به لأنّه يحوّل حياتها إلى جحيم، ويعتدي عليها وعلى أطفالها؛ لأنّه في حال شربه الخمر يفقد وعيه ويتصرّف بلا اختيار، فقد يعتدي عليها بالضرب والشتم وغير ذلك من صنوف الاعتداء، وقد ضجّت المحاكم الشرعيّة بشكوى السيّدات اللاتي ابتلين بالزواج من المدمنين على شرب الخمر، وهن يطلبن الطلاق والخلاص من شرورهم وآثامهم.

إنّ على المرأة الشريفة أن تبتعد عن شارب الخمر فلا تتزوّج منه، فقد قال رسول الله ﷺ:

١ ـ «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ بَعْدَ ما حَرَّمَها اللهُ عَلىٰ لِساني فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُزَوَّجَ إذا خَطَبَ»(١).

٢ ـ وفي حديث آخر: **«مَنْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنْ شارِبِ خَمْرٍ فَقَدْ عَقَّها»**(٢).

٣ ـ وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: **«مَنْ زَوَّجَ كَريمَتَهُ مِنْ شارِبِ خَمْرٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَها»**(٣).

إنّ الادمان على شرب الخمر له مضاعفاته السيّئة، وأضراره الهائلة ليس على شاربها فقط وإنّما على ذرّيّته، فإنّها قد تصاب بتشوّهات خُلقيّة حسبما ذكره الطبّ الحديث، وهو في نفس الوقت مدمّر للصحّة وموجب للإصابة بأمراض خطيرة ذكرناها بالتفصيل في كتابنا: (العمل وحقوق العامل في الإسلام).

---

(١) الوسائل ٢٠/٨٠.

(٢) الوسائل: ٢٠/٧٩. فروع الكافي: ٥/٣٤٧.

(٣) الوسائل: ٢٠/٧٦.

٢ ـ سوء الخُلق

كره الإسلام كأشدّ ما تكون الكراهة للمرأة المسلمة أن تتزوّج برجل سيئ الخلق، فإنّها تعيش معه حياة بائسة مظلمة، ممّا يجعلها عرضة للمحن والبلاء.

وقد قال الله تعالى لنبيّه العظيم:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١).

الأحاديث الشريفة

وقد حذّر منه النبيّ ﷺ، قال:

١ ـ «إيّاكُمْ وَسُوءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ في النّارِ لا مَحالَةَ»(٢).

٢ ـ وعنه ﷺ: «أَبى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصاحِبِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ»، فقيل له: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأَنَّهُ إذا تابَ مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ في ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْهُ»(٣).

٣ ـ عن الحسين بن بشّار الواسطي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ لي قرابة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء، قال:

---

(١) آل عمران ٣: ١٥٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٣٤.

(٣) أصول الكافي: ٢/٣١١.

«لَا تُزَوِّجْهُ إِنْ كانَ سَيِّئَ الْخُلُقِ»[١].

٣ ـ العصبي

لا ينبغي للمرأة المسلمة أن تتزوّج برجل عصبي لأنّه يـذيقها مـرارة العـيش، فإنّه مصاب بأمراض نفسيّة منها:

١ ـ شعوره بالقلق.

٢ ـ شعوره بالسخط على المجتمع.

٣ ـ شعوره بنقص في ذاته.

نصّ علماء النفس على هذه الأمراض المصاب بها العصبي، فكيف تـتزوّج بـه المرأة المسلمة[٢].

قال رسول الله ﷺ: «الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمانَ كَما يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[٣].

وعن الإمام أبي جعفر ﷺ، قال: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْراةِ فِيما نـاجَى اللهُ عَـزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسىٰ ﷺ: يا مُوسىٰ، أَمْسِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَّكْتُكَ عَلَيْهِ أَكُفَّ عَنْكَ غَضَبي»[٤].

وعن الإمام الصادق ﷺ: «الْغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[٥].

---

(١) الوسائل: ٢٠/٨٠.

(٢) نظام الأُسرة في الإسلام: ٥٢.

(٣) أُصول الكافي: ٢/٢٩٢.

(٤) أُصول الكافي: ٢/٢٩٣.

(٥) أُصول الكافي: ٢/٢٩٢.

٤ ـ المخنّث

لم يرض الإسلام للمرأة المسلمة الفاضلة أن تتزوّج بالرجل المخنّث؛ لأنّه فاقد للرجولة والشرف، وقد نهى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من الزواج به.

عن عليّ بن جعفر، عن أخيه، قال: سألته: إن زَوْج ابنتي غلام فيه لين، وأبوه لا بأس به؟ قال: «**إذا لَمْ يَكُنْ فاحِشَةً فَزَوِّجْهُ، يَعْني الْخَنَث**»[1].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لَعَنَ اللهُ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالْمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّساءِ**»[2].

٥ ـ البخل

من الأمراض النفسيّة الخسيسة، وهو ضدّ الكرم، وقد حذّر الإسلام منه، وقد ورد ذمّه والتحذير منه في كوكبة من الآيات منها:

١ ـ قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[3].

٢ ـ قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً** ﴾[4].

---

(١) الوسائل: ٢٠/٨١، باب كراهة تزويج سيّئ الخلق والمخنّث، الحديث ٢/٢٥٠٨٧.

(٢) صحيح البخاري: ٨/٢٨. سنن الدارمي: ٢/٢٨١. مسند أحمد بن حنبل: ١/٢٣٧. مستدرك الوسائل: ١٣/٢٠٢.

(٣) آل عمران ٣: ١٨٠.

(٤) النساء ٤: ٣٧.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[١].

أرأيتم هذا التحذير من هذه النزعة الشريرة التي تصدّ الإنسان عن كلّ ما يقرّبه إلى الله تعالى، وعن كلّ عمل خير، وقد ورد التحذير منه في أخبار أئمّة الهدى عليهم السلام، وهذه شذرات منها:

١ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «شَرُّ النّاسِ المُضَيِّقُ علىٰ أهْلِه»[٢].

٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَىٰ الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»[٣].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إنّ الشحيح أعذر من الظالم، فقال: «كَذِبْتَ، إِنَّ الظّالِمَ قَدْ يَتوبُ وَيَسْتَغْفِرُ، وَيَرُدُّ الظُّلامَةَ عَنْ أَهْلِها، وَالشَّحيحُ إذا شَحَّ مَنَعَ الزَّكاةَ، وَالصَّدَقَةَ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ، وَالنَّفَقَةَ في سَبيلِ اللهِ تَعالىٰ، وَأَبْوابَ الْبِرِّ، وَحَرامٌ عَلَى الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَها شَحيحٌ»[٤].

والكثير من أمثال هذه الأحاديث عن مصابيح الإسلام أُثرت في ذمّ البخل وقبحه، وعلى المرأة المسلمة أن لا تتزوّج بالبخيل؛ لأنّه يعرّضها إلى البؤس

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ٣٨.

(٢) المعجم الأوسط: ٣٣٦/٨. كنز العمّال: ٣٧٥/١٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤٠٩.

(٤) الوافي: ٦٩/٦.

والحرمان ولا ينفق عليها ضروريات الحياة ، فضلاً عن الكماليات ، فإنّ البخيل يحرم نفسه من العيش برفاهية ورخاء ، ومن الطريف أنّ بخيلاً حضرته الوفاة فالتفت أحد أبنائه إلى أخيه ليشتري كفناً لأبيه قدره اثنا عشر متراً ، فصاح به وهو يعالج سكرات الموت إنّ تسعة أمتار تكفيني ، لقد بخل حتّى على كفنه.

٦ ـ العاقّ لوالديه

حذّر الإسلام المرأة المسلمة من الزواج بالعاقّ لوالديه ، فإنّ ذرّيّته تصاب بهذا الداء الوبيل فيجرّون لها الويل والعطبا.

إنّ عقوق الوالدين من أفحش الذنوب ، وهي تنتقل بالوراثة إلى الأبناء ، فقد حكى الأصمعي ، قال : حدّثني رجل من الأعراب قال : خرجت من الحيّ أطلب أعقّ النّاس ، وأبرّ النّاس ، فكنت أطوف بالأحياء حتّى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحرّ الشديد ، وخلفه شاب في يده رشاء من قدٍّ ملوي يضربه به حتّى شقّ ظهره بذلك الحبل ، فقلت له :

أما تتّقي الله تعالى في هذا الشيخ الضعيف ، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتّى تضربه ؟

فقال : إنّه مع هذا أبي.

قلت : فلا جزاك الله تعالى خيراً.

قال : اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه ، وكذا كان يصنع أبوه بجدّه.

فقلت : هذا أعقّ النّاس ، ثمّ انتهيت إلى شاب في عنقه زنبيل فيه شيخ كأنّه فرخ فيضعه بين يديه ، فيطعمه ويحنو عليه ، فقلت له :

مَن هذا ؟ قال : أبي ، وقد خرف وأنا أكفله ؟ فقلت : هذا أبرّ العرب[١].

هذه بعض الصفات المذمومة والممقوتة في الإسلام في الرجل على المرأة ، وعلى أولياء أمرها أن يتعرّفوا بالتفصيل على خصوصيّات الرجل الذي جاء خاطباً منهم لئلا تقع المرأة في شبكة يصعب التخلّص منها ، ولا تغريهم ما يتمتّع به الرجل من الجمال والمال والوظيفة وغيرها ممّا لا تتقوّم بها الحياة الزوجيّة التي يجب أن تبنى على السلوك الطيّب والأخلاق الرفيعة ، والدين والاستقامة حتّى يكون الزواج خلية صالحة منتجة لذرّيّة طيّبة حسب ما يريده الإسلام.

حقوق المرأة

أمّا المرأة فقد قنّن لها الإسلام حقوقاً يجب على الزوج أداءها ومن بينها :

الإنفاق

إذا تزوّجت المرأة فإنّ زوجها مسؤول شرعاً عن الإنفاق عليها.

فمن حديث للإمام الصادق عليه السلام في النفقات :

« وَأَمّا الْوُجوهُ الْخَمْسُ الَّتي تَجِبُ عَلَيْهِ النَّفَقَةُ لِمَنْ يَلْزَمُهُ نَفَقَتَهُ ، فَعَلىٰ وَلَدِهِ وَوالِدَيْهِ وَامْرَأَتِهِ وَمَمْلوكِهِ ، لازِمٌ لَهُ ذٰلِكَ في الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ »[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « إِنْ أَنْفَقَ عَلَيْها ما يُقيمُ ظَهْرَها مَعَ كِسْوَةٍ وَإِلَّا فُرِّقَ بَيْنَهُما »[٣].

---

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام : ٢٥٧.

(٢) و (٣) وسائل الشيعة : ٢١/٥١٥.

وعنه ﷺ: «ما أطْعَمْتَ زَوْجَتَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَما أطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَماأطْعَمْتَ خادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَماأطعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ»[1].

أمّا موارد الإنفاق فهي:

١ ـ المسكن

وهو من أوّليات حقوقها، وهو بمّا يتّفق مع مكانتها الاجتماعيّة، ولها أن تطالب بالانفراد فيه، وعدم مشاركة غيرها ضماناً لحرّيتها ورغباتها الخاصّة.

٢ ـ الطعام

وهو شامل لجميع ما تحتاجه المرأة من الغذاء كاللحم والخبز والفاكهة وغيرها ممّا يتعارف.

٣ ـ الكسوة

وهي ما تحتاج إليه المرأة من اللباس في أيّام الشتاء والصيف.

٤ ـ الفراش

وهو ما تحتاج إليه غرفة النوم من الفراش الكامل شتاءاً وصيفاً.

٥ ـ أدوات التنظيف

وهو شامل لما تحتاجه المرأة من آلات الزينة المتعارفة في بلدها.

وذهب فقهاء الإماميّة أنّه يراعى حال المرأة في هذه الأُمور ومكانتها فيما

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٣١/٤. المعجم الكبير: ٢٦٨/٢٠. كنز العمّال: ٤١٤/٦.

تحتاجه ، وأنّ نفقتها مقدّمة على نفقة الأب والأُمّ ، فالزوج ملزم شرعاً بالإنفاق عليها ، فإذا امتنع من ذلك فترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي ، فيجبره على ذلك ، وإذا لم يستجب يحجر على أمواله ، ويباع منها قدر النفقة الواجبة وتسلّم إليها ، وإن لم ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي فتبقى ذمّته مشغولة كسائر الديون التي عليه.

وقد فرّع الفقهاء على ذلك أنّه لو كان عند الزوج مال يستطيع به الحجّ إلى بيت الله الحرام ، ولكن ذمّته مشغولة بالنفقة على زوجته فيجب عليه أداءه لها ، فإنّ فضل مال يكفيه للحجّ وجب وإلّا فلا ، وممّا يتفرّع على ذلك أنّه لا يجوز للزوجة أن تأخذ من الزكاة أو من الخمس إن كانت علويّة ؛ لأنّها ليست فقيرة ، فإنّ زوجها مسؤول عن الإنفاق عليها.

نعم ، إذا كانت مدينة بدّين لم يكن زوجها مسؤولاً عنه جاز لها أن تأخذ من الحقّ الشرعي بقدر ما يوفي دينها..

إنّ الإنفاق على المرأة من أهمّ حقوقها على الرجل ، وسنذكر بعض حقوقها في البحوث الآتية :

واجبات على المرأة

المرأة مسؤولة عن أداء بعض الحقوق والواجبات لزوجها ، ومن بينها :

الطاعة

من أهمّ حقوق الزوج على زوجته طاعته وامتثال أوامره ، والانتهاء عمّا لا يرضيه ، فإن خالفت ذلك وأصرّت على عصيانه فهي ناشز لا تستحقّ النفقة.

وقد أُثرت عن النبيّ ﷺ بعض الأحاديث تحثّ على طاعة الزوج ، منها :

١ ـ إنّ امرأة وفدت على النبيّ ﷺ فقالت له: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، وقد ذكرت ما للرجال من الأجر في الجهاد، فما لنا من ذلك؟ فقال ﷺ:

«إِنَّ طاعَةَ الزَّوْجِ وَالْإِعْتِرافَ بِحَقِّهِ يُعادِلُ ذلِكَ، وَقَليلٌ مِنْكُنَّ مَنْ تَفْعَلُهُ»(١).

٢ ـ قال الإمام الصادق ﷺ: «أَيُّما امْرَأَةٍ ماتَتْ وَزَوْجُها عَلَيْها ساخِطٌ في حَقٍّ لَمْ تُقْبَلْ مِنْها صَلاةٌ حَتّىٰ يَرْضىٰ عَنْها»(٢).

٣ ـ عن أبي جعفر ﷺ، قال: جاءت امرأة إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها:

«أَنْ تُطيعَهُ وَلا تَعْصيهِ، وَلا تَتَصَدَّقُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلا تَصومُ تَطَوُّعاً إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلا تَمْنَعُهُ نَفْسَها وَإِنْ كانَتْ عَلىٰ ظَهْرِ قَتَبٍ، وَلا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِها إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِنْ خَرَجَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْها مَلائِكَةُ السَّماءِ وَمَلائِكَةُ الْأَرْضِ وَمَلائِكَةُ الْغَضَبِ وَمَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ حَتّىٰ تَرْجِعَ إِلىٰ بَيْتِها».

قالت: يا رسول الله، مَن أعظم النّاس حقّاً على الرجل؟

قال: «والِدُه».

قالت: فمن أعظم النّاس حقّاً على المرأة؟

قال: «زَوْجَها».

قالت: فما لي عليه من الحقّ مثل ما له عليَّ؟

(١) نظام الأسرة في الإسلام: ٩٨.

(٢) الوافي: ١٢/١١٤.

قال: «لا، وَلا مِنْ كُلِّ مِئَةٍ واحِدَةٌ»[1].

إنّ المرأة مدعوّة بإطاعة زوجها ومداراته، وليس لها إرهاقه وإثارة سخطه وغضبه، وإرغامه على ما لا يطيقه في الشؤون الاقتصاديّة، فإنّها تلقيه في الأزمات والشدائد، وتسبّب هرمه ومرضه.

إنّ الواجب عليها أن تقابله ببسمات فيّاضة بالبشر، وتخفّف من جهده وأتعابه، وتكون له عوناً في حياته، وليس لها أن تتمرّد عليه وتخرج من طاعته.

وصيّة امرأة لابنتها

أوصت امرأة عربيّة كاملة وفاضلة ابنتها في ليلة زواجها بوصيّة حسنة قالت لها:

«يا بنتاه، إنّك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشّك الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمَة يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً:

أمّا الأولى والثانية: فاصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة.

وأمّا الثالثة والرابعة: فالتفقّد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلّا أطيب الريح.

وأمّا الخامسة والسادسة: فالتفقّد لوقت منامه وطعامه، فإنّ تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.

وأمّا السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والرعاية لحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٥٧/٢٠.

وأمّا التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سرّاً، فإنّك إن خالفتيه أغرت صدره، وإن أفشيت سرّه لم تأمني غدره، ثمّ إيّاك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً.

وكوني أشدّ النّاس إعظاماً له يكن أشدهم لك إكراماً، واعلمي أنّك لا تصلين إلى ما تحبّين حتّى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت»[1].

وحفلت هذه الوصيّة بالنصائح التي تضمن للمرأة سعادتها وكرامتها واحترامها عند زوجها.

التأدّب:

من حقوق الزوج على زوجته أن تكون مؤدّبة أمامه لا تقابله بمرارة الكلام، ولا تعمل عملاً يبغضه، فإذا فعلت ذلك فقد عرضت رابطتها الزوجيّة إلى الانحلال. وكانت آثمة لأنّها خرجت عن الآداب الإسلاميّة وسبّبت انهيار الأُسرة وشيوع القلق والاضطراب فيها.

القرار في البيت

من حقوق الزوج على زوجته أن تقرّ في البيت، ولا تخرج منه إلّا بإجازته وإذنه، حتّى تتفرّغ لإنجاب الأولاد والعناية بهم، والقيام بتربيتهم، وتدبير شؤون البيت، وغير ذلك من أغراضه الخاصّة التي منها الخوف على زوجته من الفسقة والمنحرفين.

---

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ٣٧٨، نقلاً عن مختارات المنفلوطي: ٢٤٠.

ومن المؤكّد أنّ خروج الزوجة من دون إذن زوجها ينجم منه اختلال نظام الأُسرة وشيوع الكراهيّة بينهما.

نعم، لها مخالفة أمره والخروج والسفر إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحجّ، فلا طاعة لأمره في المنع عنه.

١ ـ عن النبيّ ﷺ: «**كُلُّ نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ فَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ، وَالمَرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِها**»(١).

٢ ـ وعنه ﷺ: «**صَلَاةُ الْمَرْأَةِ وَحْدَها تَفْضُلُ عَلىٰ صَلَاتِها فِي الجَمْعِ بِخَمْسٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً**»(٢).

٣ ـ وعنه ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِها بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِها كانَتْ في سَخَطِ اللهِ تَعالىٰ حَتَىٰ تَرْجِعَ إلى بَيْتِها أَوْ يَرْضىٰ عَنْها زَوْجُها**»(٣).

٤ ـ وعنه ﷺ: «**لأَنْ تُصَلِّيَ المَرْأَةُ في بَيْتِها خَيْرٌ لَها مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ في حُجْرَتِها، وَلَأَنْ تُصَلِّيَ في حُجْرَتِها خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ في الدّارِ، وَلَأَنْ تُصَلِّيَ في الدّارِ خَيْرٌ لَها مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ في الْمَسْجِدِ**»(٤).

آداب إسلاميّة

عني الإسلام بالأُسرة لأنّها الخليّة الأُولى في بناء المجتمع الإسلامي، فقد أقام لها أُسساً مشرقة تزدهر فيها الحياة، وتسود فيها الأُلفة والمحبّة، وتنعم بها أُصول

---

(١) كنز العمّال: ٢٢/٦.

(٢) الفردوس: ٣٨٩/٢. كنز العمّال: ٤١٦/١٦.

(٣) كنز العمّال: ٣٨٢/١٦.

(٤) السنن الكبرى: ١٣٢/٣. كنز العمّال: ٤١٥/١٦.

الأُسرة وفروعها ، وكان من بين تلك الآداب.

١ ـ التعاون

الزواج شركة بين الرجل والمرأة لانتاج الإنسان ، ويجب أن يحمل طابع الشركة فيما تقتضيه من المشاركة التامّة لا في شأن خاصّ ، وإنّما في جميع شؤون الحياة ، سواء أكانت منزليّة أم غيرها ، كما تقتضيه الشركة في أنّ يغضّ ويتجاوز كلّ منهما عن بعض أغلاط شريكه ، فإنّه ليس من الممكن بأي حال أن يظلّ الزوج مسيئاً إلى زوجته ثمّ ينتظر أن تقوم برعايته والإخلاص إليه وكذلك العكس.

إنّ على الزوج أن يشارك زوجته في سرّائها وضرّائها. يقول بعض الكتّاب:

«إنّ الزوج العاقل يعرف تماماً أنّه إذا أحسن معاملة زوجته ، وحنا عليها أضلاعه ، واستطاع أن يفهمها فإنّها ستكون أكثر إرضاء له كشريكة ، وستكون خير أمّ لأطفاله»(١).

وكان الرسول الأعظم ﷺ قد ضرب أروع مثل للتعاون بين زوجاته ، فكان على سموّ منزلته وعظيم مقامه يشاركهنّ في إدارة شؤون المنزل ، وكان يقول لأصحابه:

«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلي» ، وقد اقتدى به ، وسار على خطّه ، وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان يساعد زوجته سيّدة نساء العالمين في شؤون البيت وفي الأعمال المنزليّة ، وكانت حياتها الطاهرة

---

(١) الزواج والصحّة النفسيّة : ٣٦.

أسمى مثل للرابطة الزوجيّة المقدّسة.

وعنه ﷺ: «خِدْمَتُكَ زَوْجَتَكَ صَدَقَةٌ»(١).

ومن الجدير بالذكر أنّ فقهاء أهل البيت ﷺ قد أفتوا إنّ قيام المرأة بشؤون البيت، وتهيئة الطعام لزوجها وأبنائها وتنظيف ثيابهم ليس واجباً شرعيّاً عليها، وإنّما هو لطف منها وخدمة إنسانيّة تسديها عليهم.

اجتناب فحش الكلام

من الآداب الإسلاميّة التي ينبغي أن تسود في البيت اجتناب فحش الكلام وهجره، فإنّ الكلام السّيّئ يوجب انتشار الكراهية والحقد بين الزوجين، كما يعود بأضرار بالغة على الأطفال، فإنّهم مقلّدون لآبائهم، ويتّبعون سلوكهم إن خيراً وإن شرّاً، وقد أثبتت البحوث النفسيّة أنّ الكلمات البذيئة تفسد الحياة الزوجيّة وتؤثّر على سلوك الأطفال.

إنّ الإسلام نهى المرأة أن تقابل زوجها بالكلمات القاسية التي تؤذيه وتثير أعصابه، فقد قال الإمام الصادق ﷺ:

«أَيُّما امْرَأَةٍ قالَتْ لِزَوْجِها ما رَأَيْتُ قَطُّ مِنْ وَجْهِكَ خَيْراً فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُها»(٢).

لقد نهى الإسلام المسلمين عن التكلّم بالكلام البذئ الذي ينمّ عن نقصان الإنسان وعدم حيائه، انظروا إلى بعض الأحاديث التي أُثرت عن النبيّ ﷺ

---

(١) كنز العمّال: ٤٠٨/١٦.

(٢) وسائل الشيعة ـ كتاب النكاح: ١٦٢/٢٠.

وأوصيائه كنوز الحكمة وعدلاء الذِّكر الحكيم، وهي تهيب بالمسلمين من تعاطيهم للكلام الفاحش والبذيء:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلىٰ كُلِّ فَحّاشٍ بَذِيءٍ، قَليلِ الْحَياءِ، لا يُبالي ما قالَ، وَلا ما قيلَ لَهُ»[١].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ شِرارِ عِبادِ اللهِ مَنْ تُكْرَهُ مُجالَسَتُهُ لِفُحْشِهِ»[٢].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لشيعته: «مَعاشِرَ الشّيعَةِ، كُونوا لَنا زَيْناً، وَلا تَكُونوا لَنا شَيْناً، وَقُولوا لِلنّاسِ حُسْناً، وَاحْفَظوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَكُفُّوها عَنِ الْفُضولِ وَقَبيحِ الْقَوْلِ»[٣].

على هذا الواقع المشرق الذي تسوده الآداب ينبغي أن يقام المجتمع الإسلامي بجميع شرائحه، وليس من الإسلام في شيء المهاترات والألفاظ البذيئة التي تنمّ عن مجتمع متخلّف ومنحطّ.

الكلم الطيّب

ينبغي للزوجين أن تسود بينهما الكلمات الطيّبة التي توجب المزيد من الترابط وتشيع الآداب العالية في البيت حتّى ينشأ عليها الأطفال ويكونوا أمثلة للتربية الصالحة التي تسعد بها الأمّة.

---

(١) أصول الكافي: ٢/٣١٢.

(٢) أصول الكافي: ٢/٣١٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٨/٣١٠.

لقد أكّد الإسلام على ضرورة الكلام الطيّب، وأن يكون منهاجاً للإنسان المسلم في حديثه مع أهله ومع غيرهم، وقد أمر الله تعالى به في كوكبة من الآيات، منها:

١ ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[١].

٢ ـ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾[٢].

٣ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٣].

٤ ـ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَـٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[٤].

الأحاديث الشريفة

وأُثرت عن النبيّ ﷺ وأوصيائه جمهرة من الأحاديث توصي بالكلام الطيّب، منها:

---

(١) البقرة ٢: ٨٣.

(٢) الإسراء ١٧: ٥٣.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٧٠ و ٧١.

(٤) فاطر ٣٥: ١٠.

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْداً قالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سوءٍ فَسَلِم»[١].

٢ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «الْقَوْلُ الْحَسَنُ يُثْرِي الْمالَ، وَيُنَمّي الرِّزْقَ، وَيُنْسِئُ الْأَجَلَ، وَيُحَبِّبُ إِلَى الْأَهْلِ، وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ»[٢].

٣ ـ ونسب إلى الإمام الصادق عليه السلام هذا البيت:

«عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ ... إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدْتَ مُعْتادُ»[٣]

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تأمر بالكلام الطيّب الذي ينعش القلوب ويجمع النّاس على مائدة المحبّة والأُلفة.

اجتناب الخصومة

من الأسباب التي تدعم تماسك الأُسرة اجتناب الخصومة والنزاع بين الزوجين، كما تؤدّي الخصومة إلى انهيار الرابطة الزوجيّة والتأثير على سلوك الأطفال وإصابتهم بالانحراف؛ لأنّ حياتهم العائليّة قائمة على الخصام والعداء وتسري انطباعاتهم السيّئة إلى مستقبل حياتهم، فيعاملون أزواجهم وأطفالهم بهذه الروح التي اكتسبوها في أيّام طفولتهم[٤].

إنّ الأب والأُمّ اللذين يفسدان حياتهما بالخصومة يجنيان على أطفالهم

---

(١) بحار الأنوار: ٨٨/١٥.
(٢) بحار الأنوار: ١٩٢/١٥.
(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ٤٣.
(٤) اعرف نفسك: ٢٠٢.

ويدفعانهم إلى الجنوح والشذوذ.

عن أبي عبدالله ﷺ، قال: «**إيّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ، فَإنَّها تَشْغَلُ الْقَلْبَ، وتُورِثُ النِّفاقَ، وَتَكْسِبُ الضَّغائِنَ**»(١).

اللين والتسامح

إنّ الإسلام حثّ على اللين والتسامح بين الزوجين، فإذا بدرت من أحدهما سيّئة أو كلمة نابية فينبغي للآخر أن يتسامح ولا يعقّب عليها.

الأحاديث الشريفة

وقد أُثر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ صَبَرَ عَلىٰ خُلُقِ امْرَأَةٍ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ وَاحْتَسَبَ في ذلِكَ الأَجْرَ أَعْطاهُ اللهُ تَعالىٰ ثَوابَ الشّاكِرين**»(٢).

قال الإمام زين العابدين ﷺ: «**وَأَمّا حَقُّ الزَّوْجَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَها لَكَ سَكَناً وَأُنْساً، فَتَعْلَمَ أَنَّ لك نِعْمَةً مِنَ اللهِ عَلَيْكَ، فَتُكْرِمَها وَتَرْفَقَ بِها، وَإنْ كانَ حَقُّكَ عَلَيْها أَوْجَبَ. فإنَّ لَها عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَها؛ لأَنَّها أَسيرُكَ، وَتُطْعِمَها وَتَسْقِيَها وَتَكْسُوها، فَإذا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْها**»(٣).

وقال النبيّ ﷺ: «**إذا أَرادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٤).

---

(١) أُصول الكافي: ٢/٢٩١.

(٢) الوسائل: ٧/٢٠٢.

(٣) بلاغات الإمام عليّ بن الحسين ﷺ: ١٣٨.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٦/٧١. مجمع الزوائد: ٨/١٩. وسائل الشيعة: ١٢/٤٢. أُصول الكافي: ٢/١٠٢.

وعنه ﷺ: «**المُؤمِنُ يَأْلَفُ وَلَا خيرَ فيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**»(١).

إنّ التسامح وعدم المقابلة بالمثل تعود على الأُسرة بأفضل المكاسب؛ لأنّها تعيش في جوّ من الودّ والوئام وتنشأ أطفالها نشأة سليمة.

إظهار المودّة والحبّ

وممّا يدعو إلى ترابط الأُسرة وتماسكها إظهار المودّة والحبّ والإخلاص من الزوج لزوجته وبالعكس، فإنّ ذلك أبلغ في الأُلفة من الأُمور الماديّة.

الأحاديث الشريفة

١ ـ قال النبيّ ﷺ: «**إنَّ الرَّجُلَ إذا نَظَرَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ اللهُ تَعالىٰ إِلَيْهِما نَظَرَ الرَّحْمَةِ**»(٢).

٢ ـ وعن أبي عبدالله ؑ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ: إِنِّي أُحِبُّكِ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِها أَبَداً**»(٣).

التوسعة على العيال

حثّ الإسلام على التوسعة على الزوجة وباقي العيال؛ لأنّه له أثراً كبيراً في انسجام الأُسرة وترابطها.

وقد أُثرت عن أئمّة الهدى ؑ كوكبة من الأحاديث في الحثّ على ذلك، منها:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٥/٣٣٥. كنز العمّال: ١/١٤١.

(٢) كنز العمّال: ١٦/٢٧٦.

(٣) الوسائل: ٢٠/٢٣.

١ ـ قال النبيّ ﷺ: «كَفىٰ بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»(١).

٢ ـ وعنه ﷺ: «لَيْسَ مِنّا مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَتَّرَ عَلىٰ عِيالِهِ»(٢).

٣ ـ وعنه ﷺ: «نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلىٰ أَهْلِهِ صَدَقَةٌ»(٣).

٤ ـ وعنه ﷺ: «أَوَّلُ ما يُوضَعُ في ميزانِ العَبْدِ نَفَقَتُهُ عَلىٰ أَهْلِهِ»(٤).

٥ ـ قال الإمام زين العابدين ؈: «أَرْضاكُمْ عِنْدَ اللهِ أَسْبَغُكُمْ عَلىٰ عِيالِهِ»(٥).

٦ ـ عن أبي عبدالله ؈، أنّه قال: «الْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(٦).

٧ ـ روى الإمام الصادق ؈، عن جدّه رسول الله ﷺ، أنّه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْخُذُ بِآدابِ اللهِ تَعالىٰ إِذا وَسَّعَ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِ اتَّسَعَ وَإِذا أَمْسَكَ عَنْهُ أَمْسَكَ»(٧).

٨ ـ قال الإمام أبو الحسن ؈: «عِيالُ الرَّجُلِ أُسَراؤُهُ، فَمَنْ أَنْعَمَ اللهُ تَعالىٰ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَلْيُوَسِّعْ عَلىٰ أُسَرائِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَوْشَكَ أَنْ تَزولَ تِلْكَ النِّعْمَةُ»(٨).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢/١٦٠. المستدرك على الصحيحين: ١/٤١٥. السنن الكبرى: ٩/٢٥. الدر المنثور: ١/٢٥٤.

(٢) غوالي اللئالي: ١/٢٥٥. مستدرك الوسائل: ١٥/٢٥٦.

(٣) صحيح البخاري: ٥/١٧. سنن الترمذي: ٣/٢٣٢. مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٧٣. كنز العمّال: ٦/٤١٩. مجمع الزوائد: ٣/١٢٠.

(٤) المعجم الأوسط: ٦/١٨٤. كنز العمّال: ١٦/٢٧٦.

(٥) و (٦) وسائل الشيعة: ٢١/٥٤٠.

(٧) وسائل الشيعة: ٢١/٥٤١.

(٨) وسائل الشيعة: ٢١/٥٤١.

٩ ـ روى العالم الفقيه محمّد بن مسلم أنّ رجلاً قال للإمام أبي جعفر عليه السلام: إنّ لي ضيعة بالجبل اشتغلها في كلّ سنة ثلاثة آلاف درهم فأنفق على عيالي منها ألفي درهم وأتصدّق منها بألف درهم في كلّ سنة، فقال له الإمام عليه السلام:

«إنْ كانَتِ الْأَلْفانِ تَكْفيهِمْ في جَميعِ ما يَحْتاجُونَ إِلَيْهِ لِسَنَتِهِمْ فَقَدْ نَظَرْتَ لِنَفْسِكَ، وَوُفِّقْتَ لِرُشْدِكَ، وَأَجْرَيْتَ نَفْسَكَ في حَياتِكَ بِمَنْزِلَةِ ما يُوصي بِهِ الْحَيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ»[1].

١٠ ـ وعن الرضا عليه السلام، قال: **«صاحِبُ النِّعْمَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْسِعَةُ علىٰ عِيالِهِ»**[2].

١١ ـ عن ابن عبّاس، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فاشْتَرىٰ تُحْفَةً فَحَمَلَها إِلىٰ عِيالِهِ كانَ كَحامِلِ صَدَقَةٍ إِلىٰ قَوْمٍ مَحاويج»**[3].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام، وهي تحثّ المسلمين على التوسعة على عيالهم في الحياة الاقتصاديّة، وذلك لما لها من الأثر الفعّال في تلاحم الأُسرة وإشاعة المودّة والمحبّة بين أعضائها، فإنّ الفقر والحرمان يسبّبان الكثير من المشاكل والعقد النفسيّة بين أفراد الأُسرة ويلقيها في شرّ عظيم.

تساؤلات:

وتواجه المرأة في رحاب الإسلام بعض التساؤلات من الحاقدين عليه،

---

(١) وسائل الشيعة: ٢١/٥٤٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٢١/٥٤٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٢١/٥١٤.

فقد زعموا أنّه لم يوها حقّها، وفضّل عليها الرجل، وقابلها بمزيد من الجفاء فيما قنّن لها من أحكام، وهي:

تفضيل الرجل عليها بالميراث

فضّل الإسلام الرجل على الأنثى بالميراث. قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[1]، وليس في هذا التشريع حطّ من قيمة المرأة ولا تهاون في كرامتها ـ كما يقولون ـ وإنّما هو رعاية للاقتصاد العامّ وتشريع خلّاق بالغ الأهمّية، فإنّ المرأة قبل زواجها قد تكفل أبوها برعايتها والإنفاق عليها، وبعد زواجها فإنّ الزوج مسؤول عن الإنفاق عليها سكناً ولباساً وطعاماً وزينة، ولم تعد في حاجة إلى المادة، فكان تشريع الميراث لها في الإسلام على وفق المصلحة العامّة للأُمّة.

قوامة الرّجل

أعلن الإسلام قوامة الرجل على المرأة.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾[2].

وليس في هذا التشريع مجافاة لشأن المرأة، وإنّما هو حفظ للأُسرة وصيانة لها

---

(١) النساء ٤: ١١.

(٢) النساء ٤: ٣٤.

من التمزّق، فإنّ المرأة قد أعدّتها الحكمة الإلهيّة للحمل والولادة وإدارة شؤون البيت، وليست لها القدرة على السيطرة على الأبناء، فهي تذوب أمامهم بحسب عاطفتها، فلا تتمكّن من حفظهم من الشذوذ والانحراف، فالقوامة للرجل تعني سلامة الأُسرة والحفاظ عليها، فإنّه أقوى من المرأة وأشدّ مراساً وتكويناً منها، فلذا جعلت له هذه المكانة.

شهادة المرأة

اعتبر الإسلام في مجلس القضاء شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد. قال تعالى:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[1].

وليس في هذا التشريع أي انتقاص للمرأة أو استهانة بها، وإنّما هو لرعاية حقوق النّاس من الضياع ورعاية لإقامة العدل في القضاء، فإنّ المرأة بحسب تكوينها سريعة العاطفة والانفعال، ممّا يدفعها إلى تناسي الحقّ والتساهل في أدائه، وخير شاهد على ذلك خروج السيّدة عائشة على حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في الإسلام، فقد قادت الجيوش لإسقاط حكومته مع علمها بسموّ مكانته وعظيم شأنه عند زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد عمدت إلى ذلك انقياداً وراء عواطفها المترعة بالحقد ضدّ الإمام عليه السلام، فإذا كانت أُمّ المؤمنين بهذه الكيفيّة فكيف بغيرها.

(١) البقرة ٢: ٢٨٢.

إنّ المرأة رقيقة العاطفة ، مرهفة الحسّ ، سريعة التأثّر ، تتغلّب عواطفها على عقلها في كثير من الأحيان ، فلذا احتاط الشارع العظيم على أموال النّاس وحقوقهم ، فجعل شهادة الاثنين من النساء تساوي شهادة رجل واحد ، وليس في ذلك أي حطّ لشأنها أو استهانة بها .

تعدّد الزوجات

واجه الإسلام نقداً لاذعاً من خصومه بإباحته لتعدّد الزوجات ، واعتبروا ذلك ظلماً للمرأة ، وجناية عليها ، ومنافياً لحقوقها ، وجهلوا أنّ الإسلام لم ينفرد بذلك ، فقد أباحه الأنبياء من عهد شيخ المرسلين إبراهيم ﷺ إلى زمان السيّد المسيح ﷺ ، ولم يرد نهي في التوراة ولا في الإنجيل نهي على تحريمه .

يقول : « سترمارك » :

« إنّ تعدّد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر ، وكان يتكرّر كثيراً في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة » .

إنّ الذين أنكروا إباحة الزوجات قد مارسوه باتّخاذ الخليلات والعشيقات وغير ذلك من العلاقات التي أغروا بها المرأة وأوقعوها في مآثم الحياة .

مبرّرات التعدّد

والشيء المؤكّد أنّ لتعدّد الزوجات مبرّرات مهمّة لا يمكن الإغضاء عنها ، فإنّ الرجل إنّما يقدم على ذلك ، ويجرّ لنفسه المتاعب والمصاعب لا بدّ أن يكون لغرض وجيه ، ولعلّ من الأسباب المحفّزة له على ذلك هي :

أوّلاً: إنّ المرأة قد تمنى بأمراض جسميّة أو عقليّة، ويعجز الرجل عن مداراتها والقيام بشؤونها، فهناك عدّة حلول لها:

١ ـ طلاقها، وإرسالها إلى أهلها تعاني المحن والأزمات.

٢ ـ إبقاؤها، وعدم الزواج بغيرها، وينساب الرجل في ميادين الدعارة والمجون إشباعاً لغريزته الجنسيّة.

٣ ـ الزواج بغيرها وجعلها تحت الرعاية والحفاظ على أبنائها من الضياع، ولا إشكال أنّ البند الأخير خير للمرأة وللرجل وصيانة للطرفين.

ثانياً: إنّ الزوجة قد تكون عقيمة، وهو كغيره ممّن يتلهّف إلى الذرّيـة لتكون امتداداً لوجوده، فإنّ الزواج إنّما شرع لأجل بقاء النسل على هذا الكوكب الذي يعيش عليه، فماذا يصنع الزوج الذي يريد النسل أيبقى محروماً من الأطفال ولا يتزوّج عليها؟

أو يتزوّج بأُخرى لتنجب له الأطفال، وتبقى زوجته الأُولى تحت رعايته، لا شكّ أنّ الثاني أجدر برعاية الرجل والزوجة الأُولى.

ثالثاً: ما تحدثه الحروب من الدمار الشامل والقتل للرجال ممّا يوجب قلّة هذا النوع، وزيادة النساء، ففي الحرب العالميّة الثانية كان ضحايا الحرب خمسون مليون نسمة، وراحت النساء سالكة طريق الفحشاء، وقد شاع في الغرب البغاء وكثرة اللقطاء وفساد الأخلاق.

رابعاً: إنّ بعض النساء تهمل زوجها، ولا تحفل برغباته الجنسيّة، خصوصاً إذا رُزقت بعض الأولاد الذكور، فإنّها لا تعنى بزوجها، ولا تقوم بواجباته ممّا يضطرّ إلى الزواج بأُخرى. وهذا ـ فيما أحسب ـ من أوثق الأسباب، وأكثرها

انتشاراً عند الرجال لزواجهم بالثانية ، فالزوجة هي المسؤولة عن ذلك ، ولا لوم على الرجل.

هذه بعض الأسباب التي تدعو إلى تعدّد الزوجات والتي تلقي الرجل في محنة وشقاء.

وعلى أي حال ، فإنّ تشريع الإسلام العظيم لتعدّد الزوجات ليس عليه أيّة مؤاخذة أو نقد.

شرط التعدّد

أباح الإسلام تعدّد الزوجات وذلك لمعالجة الأوضاع التي تحدث بين النّاس ، وقد ألمحنا لبعضها ، ولكنّه شرط فيه العدل والمساواة بين الزوجات ، وصيانة حقوقهنّ ، فليس له أن يتّجه برغباته وميوله إلى الثانية ويهمل الأُولى.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾[١].

عن النبيّ ﷺ : «اذا كانَتْ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأتانِ فَلَمْ يَعْدَلْ بَيْنَهُما جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَشِقُّهُ ساقِطٌ»[٢].

إنّ العدل شرط أساس في تعدّد الزوجات ، ولكنّه أمر بعيد المنال بين الرجال الذين يحوّلون حبّهم واقتصادهم ورعايتهم إلى الزوجة الثانية.

---

(١) النساء ٤: ٣.

(٢) سنن الترمذي: ٢/٣٠٤. المستدرك على الصحيحين: ٢/١٨٦. كنز العمّال: ١٦/٣٤١ .

الطلاق

هاجمت القوى الصليبيّة الإسلام بإباحته للطلاق، وأنّه مهدّد لكيان المرأة، وأنّها تصبح كسيرة القلب، متقلة بالهموم والآلام، وقد فاتهم أنّ الإسلام ليس هو المشرّع الوحيد للطلاق، فقد شاع عند اليونانيّين والرومانيّين، وأباحته الكنيسة عند حالة العقم، واقتراف أحد الزوجين جريمة الزنا.

إنّ الإسلام وصم الطلاق بأنّه أبغض الحلال عند الله تعالى، ولكنّ بعض الظروف التي تحيط بالزوج أو الزوجة قد تدعو إلى ذلك، وأنّه أمر لا مفرّ منه، ومن بين مبرّراته:

أوّلاً: أنّه قد لا يحدث انسجام مطلقاً بين الرجل وزوجته، ويحدث بينهما خلاف عقائدي، أو غيره، وتصبح الحياة جحيماً لا يطاق، فليس هناك أي حلّ سوى فسخ الرابطة الزوجيّة ليتخلّص الطرفان منها.

ثانياً: إنّ الزوجة قد تبتلى بزوج مدمن على شرب الخمر فيوسعها ضرباً ولكماً في حال سكره، ويحوّل حياتها إلى بؤس وشقاء، فتنهزم منه طالبة للطلاق في المحاكم الشرعيّة لتتخلّص من شرّه وإثمه.

ثالثاً: إنّ الزوج قد يكون من السقطة والسافلين في أحضان المومسات أو في جريمة اللواط، ويهمل شؤون زوجته إهمالاً كلّياً، ويتّخذها خادمة في البيت تصنع له طعامه وتغسل ثيابه وتنظّف داره، ففي هذه الحالات لا مفرّ للمرأة منه ولا خلاص إلّا بالطلاق.

رابعاً: إنّ المرأة قد تشذّ في سلوكها، وتقترف ما حرّم الله تعالى من الزنا

وغير ذلك من صنوف المنكر والفحشاء فلا خلاص للرجل منها إلّا بالطلاق.

الطلاق في رحاب القرآن الكريم

لعلّ من المفيد جدّاً أن نذكر ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البيّنات في الطلاق موضوعاً وحكماً وكيفيّة، وهذه بعض الآيات:

١ - ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

٢ - ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

٣ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن

---

(١) البقرة ٢: ٢٣١.

(٢) البقرة ٢: ٢٣٢.

كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً ﴾[١].

٤ ـ ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢].

كراهة الطلاق

وكره الإسلام الطلاق كأشدّ ما تكون الكراهية، وتظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ، وعن أئمّة الهدى ﵈ في مبغوضيّته وذمّه.

وفيما يلي بعضها:

١ ـ قال النبيّ ﷺ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ»[٣].

٢ ـ وعنه ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُبْغِضُ الطَّلَاقَ»[٤].

٣ ـ عن أبي عبدالله ﵇، قال: «قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ما مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْتٍ يَخرب في الْإِسْلامِ بِالْفُرْقَةِ ـ يعني الطلاق»[٥].

---

(١) الطلاق ٦٥: ١ و ٢.

(٢) البقرة ٢: ٢٢٩.

(٣) سنن أبي داود: ٤٨٤/١. سنن ابن ماجة: ٦٥٠/١. السنن الكبرى: ٣٢٢/٧. كنز العمّال: ٦٦١/٩.

(٤) كنز العمّال: ٦٦١/٩. الكافي: ٥٤/٦.

(٥) وسائل الشيعة: ٧/٢٢.

٤ ـ وعنه ﷺ: «تَزَوَّجُوا وَلاتُطَلِّقُوا فَإِنَّ الطَّلَاقَ يَهْتَزُّ مِنْهُ العَرْشُ»[١].

٥ ـ وعنه ﷺ: «ما مِنْ حَلالٍ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ مِنَ الطَّلاقِ»[٢].

٦ ـ وعنه ﷺ: «ما أَحَلَّ اللهُ شَيْئاً أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلاقِ»[٣].

٧ ـ وعنه ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَها الطَّلاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرامٌ عَلَيْها رائِحَةُ الجَنَّةِ»[٤].

٧ ـ وعن أبي عبدالله ﷺ: «ما مِنْ شَيْءٍ مِمّا أَحَلَّهُ اللهُ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلاقِ، وإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْمِطْلاق الذَّوّاق[٥]**»**[٦].

وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة عن الأئمّة الطاهرين، وهي تشجب الطلاق وتحذّر منه، وذلك لما له من الآثار السيّئة.

علاج الطلاق

عالج الإسلام الطلاق قبل وقوعه ببعث حكمين: أحدهما من جانب الرجل، والآخر من جانب المرأة ليدرسا بدقّة أسباب الخلاف بينهما ويقوما بالإصلاح بينهما

---

(١) كنز العمّال: ٦٦١/٩. غوالي اللئالي: ١٣٩/٢. وسائل الشيعة: ٢٦٧/١٥.

(٢) سنن أبي داود: ٤٨٤. مستدرك الوسائل: ٢٨٠/١٥. غوالي اللآلي: ١٦٥/١.

(٣) سنن أبي داود: ٤٨٤/١. المستدرك على الصحيحين: ١٩٦/٢. كنز العمّال: ٦٦١/٩. غوالي اللئالي: ١٦٥/١.

(٤) سنن الدارمي: ١٦١/٢. مسند أحمد بن حنبل: ٢٧٧/٥. المستدرك على الصحيحين: ٢٠٠/٢. كنز العمّال: ٣٨٢/١٦.

(٥) الذّوّاق: الملول.

(٦) وسائل الشيعة: ٨/٢٢.

وحسم مادة النزاع.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾[١].

وهذه العمليّة تؤدّي إلى نزع فتيل النزاع بينها وإعادة الحياة السعيدة بينهما.

عدّة الطلاق

جعل الشارع العدّة الرجعيّة للطلاق، وهي التي تكون الزوجة في أيّام عدّتها بحكم الزوجة، ولعلّه في هذه الفترة يأسفان على ما حلّ بينهما من النزاع ويعودان إلى الحالة الطبيعيّة المبنيّة على التفاهم والمحبّة.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً ﴾[٢].

هذه بعض الأساليب في الطلاق وعلاجه، وبه ننهي الحديث عن المرأة فيما شرّع لها من أحكام في ظلال الإسلام.

---

(١) النساء ٤: ٣٥.

(٢) الطلاق ٦٥: ١.

نساء خالدات

ساهمت كوكبة من السيّدات الفاضلات مساهمة إيجابيّة وفعّالة في بناء الإسلام، وإقامة صروحه، وإشاعة قيمه وأهدافه، ورفعن مشاعل الفكر والوعي في الأرض، وصرخن في وجوه الظالمين والمعتدين، كما تميّزن في سلوكهنّ وآدابهنّ، فكنّ المثل الأعلى للعفّة والطهارة والإيمان والقدوة الحسنة لجميع السيّدات، وهذه أمثلة مشرقة منهنّ:

أمّ المؤمنين خديجة

قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ: آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ»(١).

هي أطهر امرأة في الإسلام، ذات الشرف الأصيل، والمجد الأثيل، كانت تسمّى في الجاهليّة بسيّدة نساء قريش، وسمّيت في الإسلام بأُمّ المؤمنين،

(١) بحار الأنوار: ٢/١٦.

ولم تضارعها امرأة من قريش في سموّ مكانتها وعظيم منزلتها ، وهي التي نصرت الإسلام في أيّام محنته وغربته ، ووقفت إلى جانب الرسول ﷺ تخفّف ما يعانيه من المحن والخطوب التي لاقاها من جبابرة قريش وجهالها ، وقد رصدت جميع ما تملكه من الثراء العريض لخدمة الإسلام ونشر قيمه.

وقد تحدّث الرواة عن سعة ثرائها ، فقالوا: إنّ التجّار كانوا يضاربون بأموالها ، فيشترون البضائع كالثياب وبعض الأمتعة ، ويبيعونها على أهالي مكّة وسائر القرى المحيطة بها ، وكانوا يخرجون إلى الشام ، ويجلبون منها الأمتعة التي تباع في مكّة ، وقد نمت أموال خديجة ، واتّسع ثراؤها حتّى صارت في طليعة المثرين في مكّة ، وقد تاجر النبيّ ﷺ في أموالها ، فباع واشترى ، وقد ربح ربحاً كثيراً لم يعهد له مثيل فيمن تاجر بأموالها ، وقد كان معه ميسرة وهو خادم لها ، وقد بهر ممّا رآه في سفره مع النبيّ ﷺ ، فقد رأى غمامة تسير معه ، وتضلّه من حرارة الشمس ، ورأى البركة والنموّ في المال الذي اتّجر به لم يرَ مثله من قبل.

ولمّا قفل النبيّ ﷺ راجعاً من الشام ، سارع ميسرة إلى خديجة ليخبرها بما رأى من العجائب في سفره ، وبما حصل لها من الأرباح.

وأنست خديجة بحديث ميسرة ، وقد دخل حبّ النبيّ ﷺ في قلبها ، وآمنت أنّ له شأناً عظيماً ومستقبلاً مشرقاً.

اقتران النبي ﷺ بخديجة

واعتقدت خديجة اعتقاداً جازماً بأنّ محمّداً ﷺ هو النبيّ المرسل الذي تزدهر الدنيا برسالته ، وأنّه هو الرسول الذي بشّر به أنبياء الله تعالى من قبل ، فسارعت

إلى خطبته، وتقديم المال له ليكون مهراً لها، وانبرى النبيّ ﷺ إلى عمّه ومربّيه أبي طالب فأخبره بالأمر، فابتهج أبو طالب، وغمرته موجات من الفرح؛ وذلك لعلمه بمكانة خديجة وشرفها، وأنّها قد سارعت إلى خطبة ابن أخيه بعدما امتنعت من الاقتران بسادات قريش.

وانطلق أبو طالب ومعه حمزة إلى خويلد أبي خديجة، فقابلهم بمزيد من الاحتفاء والتكريم، وعرضا عليه الأمر، فأجاب بالامتنان والقبول.

وتزوّجت خديجة بالنبيّ ﷺ، وألغت الأعراف السائدة في عصرها من أنّ الرجل هو الذي يخطب المرأة لا العكس، وقدّمت خديجة جميع ما تملكه من الأموال إلى النبيّ ﷺ، فكان رصيداً مهمّاً للدعوة الإسلاميّة، ومن الركائز المهمّة التي اعتمد عليها النبيّ ﷺ في نشر الإسلام وإشاعته بين النّاس، وكانت الرابطة الزوجيّة بين النبيّ ﷺ وخديجة أفضل رابطة، فقد أخلصت له خديجة كأعظم ما يكون الإخلاص، وقد وجد النبيّ ﷺ في كنفها من الرعاية والمودّة ما عوّضه عن رزيّته بفقد أبيه وأمّه.

في غار حراء

استطاب النبيّ ﷺ الخلوة في غار حراء، فكان يطيل المكث فيه، ويتأمّل في آيات الله تعالى، وما في الكون من العجائب التي تدلّ على وجود الخالق العظيم، وكانت خديجة تراقبه وترعاه، وترسل من يحرسه، وهي على ثقة بأنّه الرسول الأعظم الذي اختاره الله تعالى لإنقاذ البشريّة من ظلمات الجهل.

واستقبل النبيّ ﷺ في غار حراء رسالة من الله تعالى، فقد هبط عليه جبرئيل فقلّده وسام النبوّة، وأمره بقراءة سورة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ﴾[١]، وقد حفلت بعظيم آيات الله تعالى في خلقه للإنسان، هذا الكائن الذي هو من أعظم مخلوقات الله تعالى، ونهض الرسول والملك يتابعه، فقفل إلى منزله وهو فزع، فحدّث خديجة بما رآه، ففرحت وراحت تبعث في نفسه الرضا والطمأنينة قائلة:

«ابشر يا أبا القاسم.

ابشر يابن العمّ واثبت.

فوالذي نفسي بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأُمّة، والله لا يحزنك الله أبداً، إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على الحقّ»[٢].

وكانت لهذه الكلمات الطيّبة المشرقة بروح الإيمان صدى في نفس الرسول، فقد أحسّ بالراحة والاستقرار، ثمّ سارع إلى فراشه، وإذا برسول السماء يعاوده ومعه سورة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[٣].

ومعنى هذه الآية ليس للنبيّ ﷺ من سبيل إلى النوم، وإنّما عليه الكفاح والنضال لإنقاذ الإنسان من ويلات الجهل والعبوديّة.

وحدّث النبيّ ﷺ أمّ المؤمنين خديجة بما رآه وسمعه من الوحي، فراحت تبعث في نفسه العزم والنشاط لأداء رسالة ربّه، وتحمّل المسؤوليّة لإنقاذ الإنسان من ظلمات العبوديّة والجهل.

---

(١) العلق ٩٦: ١.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام: ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) المدّثّر ٧٤: ١ ـ ٣.

إسلام خديجة وعليّ عليهما السلام

وسارعت خديجة فور إعلان الرسول ﷺ نبوّته إلى اعتناق الإسلام، ومعها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد اعتنقا الإسلام وآمنا بقيمه وأهدافه.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ يَوْمَئِذٍ واحِدٌ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثالِثُهُما»[١].

وقال ابن عبّاس: «كان عليّ أوّل من آمن من النّاس بعد خديجة»[٢].

وكان عمر الإمام سبع سنين، وقيل: تسع سنين[٣].

ومن الجدير بالذكر أنّ الوحي نزل على النبيّ ﷺ يوم الاثنين، وصلّى بالكعبة يوم الثلاثاء ومعه خديجة والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

روى عفيف الكندي قال:

جئت في الجاهلية إلى مكّة وأنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العبّاس بن عبدالمطلب، وكان تاجراً، فأنا عنده جالس انظر إلى الكعبة، وقد حلّقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره نحو السماء، ثمّ قام مستقبلاً الكعبة، ولم يلبث إلّا يسيراً حتّى جاء غلام فقام عن يمينه، ثمّ جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب وركع معه الغلام والمرأة، ثمّ رفع الشاب رأسه فتابعه الغلام والمرأة، وسجد الشاب فسجد معه الغلام

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١/٨٠.

(٢) امتاع الأسماع: ١٦/١.

(٣) صحيح الترمذي: ٣٠١/٢. الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٣، ٤. كنز العمّال: ٤٠٠/٢.

والمرأة، فقلت متعجّباً:

يا عبّاس، أمر عظيم!!

وطفق العباس قائلاً:

نعم، أمر عظيم! أتدري من هذا الشاب؟

لا.

هذا محمّد بن عبدالله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا عليّ بن أبي طالب.

أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته. إنّ ابن أخي هذا ـ وأشار إلى محمّد ﷺ ـ أخبرني أنّ ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، لا والله ما على الأرض كلّها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[١].

ولازمت خديجة النبي لم تفارقه حتّى في طوافه حول الكعبة، كما روى ذلك ابن مسعود[٢]، وكانت تشدّ أزره، وتبعث في نفسه النشاط للاستمرار في دعوته.

فقد روى ابن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍ عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلّا فرّج الله له بخديجة إذا رجع إليها تثبّته وتخفّف عنه، وتصدّقه وتهوّن عليه أمر النّاس، وما زالت على ذلك حتّى لحقت بربّها[٣].

---

(١) خصائص النسائي: ٣. مسند أحمد بن حنبل: ٣٠٩/١. الطبقات الكبرى / ابن سعد: ١٠/٨.

(٢) حياة المحرّر الأعظم الرسول الأكرم محمّد ﷺ: ١٢٩/١.

(٣) الإصابة: ٢٧٣/٤. الاستيعاب: ٢٧٥/٦.

الدعم الاقتصادي

قال رسول الله ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطّ مَا نَفَعَنِي مَالُ خَدِيجَة».

سخرت أُمّ المؤمنين خديجة ثراءها لخدمة الإسلام، وبذلت جميع ما تملكه لنشر الدعوة الإسلاميّة، ولمّا اعتقلت قريش النبيّ ﷺ مع من آمن به من الهاشميّين في شِعب أبي طالب، وفرضوا عليهم الحصار الاقتصادي، وحرّموا عليهم الطعام وغيره من مستلزمات الحياة، فلم يقم أحد بإسعافهم سوى خديجة، فقد أمدّتهم بجميع ما يحتاجون إليه من الطعام وغيره طيلة المدّة التي كانت تزيد على سنتين، فما أعظم عائدتها على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين.

لقد قدّمت خديجة إلى الإسلام جميع ما تملكه، حتّى أنّها لا تملك حصيراً تجلس عليه، فجزاها الله عن الإسلام، وأجزل لها المزيد من الأجر.

فقد جاء في الروايات: «قالت خديجة لعمّها ورقة بن نوفل: أعلن بأنّ جميع ما تحت يدي من مال وعبيد فقد وهبته لمحمّد يتصرّف فيه كيف شاء، فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته:

يا معاشر العرب، إنّ خديجة تُشهدكم على أنّها وهبت لمحمّد نفسها ومالها وعبيدها وجميع ماتملكه يمينها إجلالاً له وإعظاماً لمقامه ورغبة فيه. وأنفذت إلى أبي طالب غنماً كثيراً ودنانير ودراهماً وثياباً وطيباً ليعمل الوليمة، وأقام أبو طالب لأهل مكّة وليمة عظيمة ثلاثة أيام حضرها الحاضر والبادي»[1].

وكان ممّا عانته أُمّ المؤمنين خديجة أنّ نساء قومها هجرنها بعد أن كانت في قمّة

(١) وفاة الزهراء ؑ / السيّد المقرّم: ١٢.

المجد لأنّها تزوّجت من يتيم أبي طالب وهو فقير معدم لا مال له، وزادت نفور النساء منها حينما أعلن النبيّ ﷺ دعوته إلى الله تعالى ونبذ الأصنام، الأمر الذي أزعج قريش عبدة الأوثان، فزاد ذلك في عداء النساء لخديجة والاستهانة بها.

مكانتها عند النبيّ

احتلّت أُمّ المؤمنين خديجة عواطف النبيّ ﷺ، فكان يقيم لها في نفسه أسمى ألوان المودّة والحبّ والإخلاص، وقد حدّثت عائشة عن عميق حبّ النبيّ ﷺ لها أنّه كان لا يخرج من البيت حتّى يذكر خديجة بحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً فأدركتني الغيرة فقلت:

هل كانت إلّا عجوزاً قد أبدلك الله تعالى خيراً منها.

فغضب حتّى اهتزّ مقدّم شعره من الغضب ثمّ قال:

«لَا واللهِ! ما أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْراً مِنْها، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَواسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي مِنْها أَوْلَاداً إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّساءِ»[1].

لقد رزقه الله تعالى سيّدة نساء العالمين فاطمة سلام الله عليها، التي هي ملء فم الدنيا في فضائلها وعفّتها وشرفها. يقول الشاعر:

ما تَمنّى غيرَها نَسلاً ... ومَنْ يَلِدِ الزَّهراءَ يزهَدْ في سِواها

وكان من إخلاص النبيّ ﷺ لخديجة أنّ أُختها دخلت بيت النبيّ ﷺ فسمع صوتها وكان يشبه صوت خديجة، فرفع صوته قائلاً:

---

(١) الاستيعاب: ٢٧٨/٤. الاصابة: ٢٧٥/٤. صحيح البخاري: ٤٨٥/٥.

«اللّهُمَّ هالَة..».

وما ملكت عائشة صوابها حتّى راحت تقول:

ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها.

فتغيّر وجه النبيّ ﷺ وراح يقول لعائشة بعنف:

«ما أَبْدَلَني اللهُ خَيْراً مِنْها؛ آمَنَتْ بي حينَ كَفَرَ بي النّاسُ، وَصَدَّقَتْني إِذْ كَذَّبَني النّاسُ، وَواسَتْني بِمالِها حينَ حَرَمَني النّاسُ، وَرَزَقَني مِنْها الْوَلَدَ دونَ غَيْرِها مِنَ النِّساءِ»[١].

ونفرت عائشة وراحت تقول بغيظ:

لم تفعل ذلك؟

فقال لها: «إِنِّي لأُحِبُّ حَبيبَها»[٢].

وفي رواية: «إِنّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّها»[٣].

وقد تميّزت عائشة غيظاً وغضباً من إطراء النبيّ على خديجة، فقالت:

ما حسدت امرأة مثلما حسدت خديجة، وما تزوّجني رسول الله ﷺ إلّا بعد أن ماتت[٤].

لقد كانت روح أُمّ المؤمنين خديجة تصاحب النبيّ في حلّه وترحاله، وفي حياتها

---

(١) الاستيعاب: ٢٨٣/٤.

(٢) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: ٥١.

(٣) صحيح مسلم: ١٢٤/٧ ـ باب فضائل خديجة. الإصابة: ٦٢.

(٤) الإصابة: ٧٢/٨.

وبعد وفاتها، فقد رشف من حنانها ومودّتها ما لا ينساه في جميع مراحل حياته.

بيتها في الجنّة

احتلّت خديجة المنزلة العظمى في نفس النبيّ ﷺ وذلك لعظيم خدماتها للإسلام، وقد بشّرها النبيّ بأنّ لها في الفردوس الأعلى قصراً من أعلى القصور وأميزها التي أعدّها الله للصالحين والصالحات من عباده، فقد جاء في الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال:

«أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيْجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيْهِ وَلاَ نَصَبَ»[1].

وفيه قال الحرّ العاملي في منظومته:

لَها مِنَ الْجَنَّةِ بَيْت مِنْ قَصَبٍ　　لاَ صَخَبٌ فِيهِ وَلَا نَصَبِ
وَهذِهِ صُورَةُ لَفْظِ الْخَبرِ　　عَنِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى الْمُطَهَّرِ[2]

وهذا جزاء لها على ما قدّمته للإسلام من الخدمات، فقد ساهمت مساهمة إيجابيّة في إقامة صروح الإسلام، فما أعظم عائدتها على النبيّ ﷺ وعلى الإسلام.

إلى الفردوس الأعلى

وعانت أُمّ المؤمنين خديجة المصاعب والعسر والارهاق في سبيل الإسلام حتّى بلغ الحال بها أنّها لم تملك حصيراً تجلس عليه، وقد تناهبت الأمراض

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٩٧/٣. صحيح البخاري: ٤٨/٥.
(٢) فاطمة والمفضّلات من النساء: ٦٦.

جسمها ، ومشى إليها الموت سريعاً ، وكان مـن أهـمّ مـا عـانته مـن الآلام أنّهـا تركت ابنتها الوحيدة سيّدة النساء ، وهي في سنّ الطفولة ، فكـانت تـنظر إليهـا بألم بـالغ ، وقـد أوصت بهـا النـبيّ ﷺ وهـي عـلى عـلم أنّهـا فـلذة مـن كـبده وأنّها نفسه ، وقد أخلص لها في حبّه ومودّته.

ولم تلبث أُمّ المؤمنين إلّا قليلاً حتّى لفظت أنـفاسها الأخـيرة ، وسمت روحـها الطاهرة إلى الله تعالى كأسمى روح صعدت إليه ، فسـلام ونـفحات مـن روح الله تعالى إلى تلك الذات المقدّسة التي ساهمت في بناء الإسلام ، ورفع كلمة الله تعالى في الأرض.

لقد فجع النبيّ ﷺ بوفاة خديجة التي مـلأت نـفسه رضىً وطـمأنينة ، وهـوّنت عليه ما لاقاه من اضطهاد وتنكيل من وحـوش القـرشيّين الذيـن جـهدوا عـلى محاربة الله تعالى ورسوله.

وقام النبيّ ﷺ بتجهيز جثمانها المقدّس فغسّلها وأدرجـها في أكـفانها ، وصـلّى عليها وواراها في مقرّها الأخير ، وقد وارى الشرف والفضيلة والعفّة والإيمـان ، ولم تمضِ إلّا أيّام يسيرة حـتّى تـوفّي عـمّه أبـو طـالب حـامي الإسـلام وشـيخ البطحاء ، وقد سمّى النبيّ ﷺ ذلك العام عام الحزن ، وهو أثـقل عـام مـرّ عـليه ، فقد فقدَ فيه خديجة وعمّه أبا طالب الذي كان ركناً شديداً يأوي إليه.

فاطمة الزهراء عليها السلام

في طليعة النساء الخالدات في دنيا الإسلام سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهـراء سلام الله عليها ، التي هـي الصـورة الكـاملة للـفضيلة والكـرامـة في الإسـلام ، فكانت قبساً من روح أبيها سيّد الكائنات ، وفيضاً من أنـوار الله تـعالى يهـتدي بها الضالّ ويسترشد بها الحائر.

لقد أحلّ النبيّ ﷺ بضعته بأسمى منزلة في الإسلام ، فجعل رضاءها من رضائه ، وغضبها من غضبه .

وأضاف النبي ﷺ قائلاً : إنّ الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها . وهـي المؤسّسة الثانية بعد أبيها لمذهب أهل البيت ﷺ ، فقد هبّت بصلابة وشموخ في وجوه الحاكمين بعد وفاة أبيها ، وشجبت سلطانهم الذي استولوا عليه بغير حقّ ، وهـذه لمحات موجزة عن سموّ منزلتها عند أبيها ، وعن جهادها المشرق في سبيل الإسلام ، وفيما يلي ذلك :

أحاديث النبيّ ﷺ في فضل الزهراء عليها السلام

حشد من الأحاديث النبويّة في فضل سـيّدة نسـاء العـالمين سـلام الله عـليها ألقاها النبيّ من على منبره وفي بهو جامعه وبيته ، كان منها :

١ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام :

« إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاكِ »[(١)].

٢ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة سلام الله عليها:

« إِنَّ الرَّبَّ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضىٰ لِرِضاكِ »[(٢)].

ولم يظفر أحد من أولياء الله تعالى بهذه المنزلة الرفيعة التي حظيت بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، انّها وسام شرف لأفضل سيّدة في الإسلام.

٣ ـ روى مسور بن مخرمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام :

« فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي ، فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَني »[(٣)].

٤ ـ روى مسور بن مخرمة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام :

« فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي ، يُرِيبُني ما أَرابَها ، وَيُؤْذِيني ما آذاها »[(٤)].

٥ ـ وروى أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام :

« إِنَّما فاطِمَةُ شَجْنَةٌ[(٥)] مِنّي ، يَبْسِطُني ما يَبْسِطُها ، وَيَقْبِضُني ما يَقْبِضُها »[(٦)].

---

(١) مستدرك الحاكم: ١٥٣/٣. أُسد الغابة: ٥٢٢/٥. الإصابة: ١٥٩/٨. تهذيب التهذيب: ٤٤١/٢. كنز العمّال: ٢١٩/٦. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ١٥٦/٣. ميزان الاعتدال: ٢٢٥/١.

(٢) ميزان الاعتدال / الذهبي: ٧٢/٢. وفي تهذيب التهذيب: ٤٤٢/١٢: «إِنَّ اللهَ يَرْضىٰ لِرِضاكِ، وَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ».

(٣) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق: ٢١٠/٤ و ٢١٩. كنز العمّال: ١١٢/١٢. فيض القدير: ٢٢١/٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣٢٨/٤. حلية الأولياء: ٣٠٩/٢. صحيح البخاري: ١٥٨/٦.

(٥) الشجنة: الرحم.

(٦) كنز العمّال: ١٩/٦. مستدرك الحاكم: ١٥٤/٣.

٦ ـ روى عبدالله بن الزبير أنّ رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّما فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، يُؤْذِيني ما آذاها، ويُنْصِبُني ما أَنْصَبَها»(١).

٧ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ قال:

«تُحْشَرُ ابْنَتِي فاطِمَةُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَعَلَيْها حُلَّةُ الْكَرامَةِ، قَدْ عُجِنَتْ بِماءِ الْحَيَوانِ(٢)، فَتَنْظُرُ إِلَيْها الْخَلائِقُ، فَيَتَعَجَّبُونَ مِنْها، ثُمَّ تُكْسىٰ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، عَلىٰ أَلْفِ حُلَّةٍ مَكْتُوبٌ بِخَطٍّ أَخْضَرَ: أَدْخِلُوا ابْنَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الْجَنَّةَ عَلىٰ أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ هَيْبَةٍ، وَأَتَمِّ كَرامَةٍ، وَأَوْفىٰ حَظٍّ»(٣).

أرأيتم هذه الكرامة التي أعدّها الله تعالى لأفضل سيّدة خلقها وميّزها على جميع نساء العالمين.

٨ ـ أخذ النبيّ ﷺ بيد بضعته وقال أمام حشد من المسلمين:

«مَنْ عَرَفَ هٰذِهِ فَقَدْ عَرَفَها، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْها فَهِيَ فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنّي، وَهِيَ قَلْبِي، وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، مَنْ آذاها فَقَدْ آذانِي، وَمَنْ آذانِي فَقَدْ آذَى اللهَ تَعالىٰ»(٤).

٩ ـ أخرج أحمد بن حنبل بسنده أنّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة عليها السلام:

«فَداكِ أَبُوكِ» قال ذلك ثلاث مرّات(٥).

---

(١) صحيح الترمذي: ٣١٩/٢. مسند أحمد بن حنبل: ٥/٤.

(٢) ماء الحَيَوان: ماء الحياة.

(٣) ذخائر العقبى: ٤٨.

(٤) نور الأبصار: ٢٤.

(٥) الصواعق المحرقة: ١٠٩.

١٠ ـ روى الإمام الحسين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

« فاطِمَةُ بَهْجَةُ قَلْبِي ، وَابْناها ثَمَرَةُ فُؤادِي ، وَبَعْلُها نُورُ بَصَرِي ، وَالْأَئِمَّةُ مِنْ وِلْدِها أُمَناءُ رَبِّي وَحَبْلُهُ الْمَمْدُودُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، فَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ هَوىٰ »[١].

هذه بعض الأحاديث النبويّة التي رواها الرواة في فضل سيّدة نساء العالمين التي لا تضارعها امرأة في إيمانها وطهارتها من كلّ زيغ وإثم.

من معالم التربية النبويّة

وأفرغ النبيّ صلى الله عليه وآله أشعة من روحه ومثله ومكوّناته على سيّدة النساء لتكون المثل الأعلى للفضيلة وسموّ النفس، وكان من برامج تربيته لها هذه الوصيّة:

« لَيْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جارُهُ بَوائِقَهُ.

ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلا يُؤْذِي جارَهُ.

وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ يَسْكُتْ.

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْخَيِّرَ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ ، وَيُبْغِضُ الْفاحِشَ الضَّنِينَ السّائِلَ الْمُلْحِفَ.

إِنَّ الْحَياءَ مِنَ الْإِيمانِ ، وَالْإِيمانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْفُحْشَ مِنَ الْبَذاءِ ، وَالْبَذاءُ فِي النّارِ... »[٢].

---

(١) فرائد السمطين: ٢/٦٦.

(٢) دلائل الإمامة: ٦٦.

حفلت هذه الوصيّة الذهبيّة بالقيم الإسلاميّة التي منها:

١ ـ الوصيّة بالجار؛ وذلك بالإحسان إليه، ومواساته في السرّاء والضرّاء، وقد أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذه الظاهرة من أجل أن تسود المحبّة والمودّة بين المسلمين.

٢ ـ على المسلم أن ينطق بالكلام الطيّب، ويتجنّب عن الكلام البذيء الذي يؤدّي إلى شيوع الرذيلة بين النّاس.

٣ ـ على المسلم أن يتسلّح بالصفات الفاضلة والتي منها الحياء، الذي هو من شُعب الإيمان، والإيمان في الجنّة.

وهكذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله يغذّي بضعته بالقيم الكريمة لتكون أُنموذجاً مشرقاً لنساء أُمّته.

لقد كانت زهراء الرسول صلوات الله عليها المثل الأعلى لكلّ فضيلة يعتزّ بها هذا الكائن من بني الإنسان، فقد روى المؤرّخون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قدّم لها في ليلة زواجها ثوباً جديداً، وفي تلك الليلة دخلت عليها فتاة طلبت منها ثوباً فخلعته وقدّمته إليها، وفي اليوم الثاني دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله ليبارك زواجها فلم يرَ الثوب عليها فسألها عنه فقالت:

« أَبَتاهُ، لَقَدْ طَرَقَتْ عَلَيَّ الْبابَ فَتاةٌ فَقيرةٌ تَطْلِبُ ثَوْباً، فَأَخَذْتُ ثَوْبِي الْقَديمَ لِأَدْفَعَهُ لَها إِلَّا أَنّي تَذَكَّرْتُ قَوْلَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1]، وَأَنا أُحِبُّ الثَّوْبَ الْجَديدَ فَآثَرْتُها عَلىٰ نَفْسِي،

---

(١) آل عمران ٣: ٩٢.

وَأَعْطَيْتُهُ لَها »[١].

أيّة نفس ملائكيّة هذه النفس التي تربّت وتغذّت بهدي النبوّة، التي قدّمت الدروس المشرقة لبنات المسلمين ونسائهم ليتربّين بهديها وسلوكها.

لمحات عن صفاتها ومُثُلها:

العصمة

أمّا العصمة من اقتراف الذنوب عمداً وسهواً فهي من عناصر سيّدة النساء فاطمة سلام الله عليها، ومن مقوّماتها الذاتية التي لايمكن الجدل والشكّ فيها، فقد زكّاها الله تعالى من كلّ إثم، وعصمها من كلّ ذنب، وحباها بكلّ فضل، وجعلها قدوة حسنة لجميع نساء العالم، فهي القدوة في عبادتها وعفّتها وطهارتها وإحسانها وبرّها بالبؤساء والمحرومين...

أمّا ما يدعم عصمتها فهو:

١ ـ آية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢].

وأهل البيت هم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

---

(١) اعلموا أنّي فاطمة: ٢/٦٦٥.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) تفسير الرازي: ٦/٧٨٣. تفسير ابن جرير وقد أورد خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة أنّ الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام، وممّن نصّ على نزولها فيهم:

أحمد بن حنبل في مسنده: ٤/١٠٧. البيهقي في سننه: ٢/١٥. النسائي في خصائصه: ٣٣، كما ورد في الخصائص الكبرى: ٢/٢٦٤، والرياض النضرة: ٢/١٨٨، ومشكل الآثار: ١/٣٢٤.

وهي تدلّ بوضوح على عصمتهم وطهارتهم من كلّ رجس وإثم ، فقد اختارهم الله تعالى قدوة لعباده ، وأدلّاء على مرضاته وطاعته ، ويستحيل أن يمنح هذا العطاء لمرتكب الإثم والغارق في الشهوات .

لقد زكّاهم الله من مآثم هذه الحياة ، وطهّرهم من كلّ رجس تطهيراً .

وليست العصمة بما لها من مفهوم ومعنى بعيدة عن أهل بيت النبوّة ومراكز العلم والحكمة في الإسلام ، فقد تجلّت سيرتهم ومُثُلهم لكلّ مسلم ، وهي مرصّعة بجوهر الايمان الذي لا حدود له ، وقد صحبت ـ بتوفيق الله وفضله ـ الأئمّة الطاهرين شريحة من الزمن تزيد على أربعين عاماً افتّش في أخبارهم وألّف في مآثرهم فما وجدت لأيّ واحدٍ منهم زلّة في العمل أو في القول ، حتّى إنّ أعداءهم الذين أُترعت نفوسهم ببغضهم لم يذكروا لهم خطيئة أو انحرافاً عن الطريق القويم ، ألم يقل سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« **لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقالِيمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلاكِها عَلىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ تَعالىٰ فِي جُلَبِ شَعِيرَةٍ أَسْلُبُها مِنْ فَمِ جَرادَةٍ ما فَعَلْتُ** » .

وهذه الطاقات الهائلة من التقوى هي العصمة التي تذهب إليها الشيعة في أئمّتهم .

وعلى أي حال ، فالزهراء سلام الله عليها قد عصمها الله تعالى من كلّ ذنب ، وطهّرها من كلّ رجس .

٢ ـ إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أشاع بين أُمّته أنّ ابنته الزهراء سلام الله عليها بضعة منه أو شجنة منه ، يرضيها ما يرضيه ، ويسخطها ما يسخطه ، ومعنى ذلك أنّها قطعة منه ، وجزء من نفسه ، وكما أنّه صلى الله عليه وآله معصوم كذلك جزؤه .

٣ ـ قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله تعالى يرضى لرضا

فاطمة ويسخط لسخطها ، ومفاد الحديث أنّها بلغت مرحلة من الإيمان والتقوى جعلتها في مصاف الأنبياء المعصومين الذين أطاعوا الله تعالى وأخلصوا في عبادته ، وعرفوه حقّ معرفته.

٤ ـ إنّ الرسول ﷺ قرن عترته بكتاب الله تعالى كما في حديث الثقلين المتواتر ، وكما أنّ كتاب الله تعالى معصوم عن الباطل كذلك العترة الطاهرة ، وإلّا لما صحّت المقارنة ـ كما هو واضح ـ وبضعة رسول الله ﷺ من شموع العترة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً.

البرّ بالفقراء

من عناصر سيّدة النساء سلام الله عليها البرّ بالفقراء ، والعطف على المحرومين ، وكانت مع زوجها وولديها من المعنيّين بقوله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾[1] ، ونعرض لصور من برّها وإحسانها.

١ ـ إنّها كانت تطحن الحبّ من الحنطة والشعير لفقراء جيرانها الذين يعجزون عن الطحن.

٢ ـ إنّها كانت تستقي الماء بقربة فتحمله لضعفاء جيرانها من الذين لا يتمكّنون من الحصول على الماء.

لقد تجرّدت بضعة الرسول ﷺ من كلّ نزعة مادية وآثرت رضا الله تعالى والتقرّب إليه من كلّ شيء.

---

(١) الدهر ٧٦ : ٨ و ٩.

ومن برّ سيّدة النساء ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري قال:

صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فلمّا انتفل جلس في القبلة والناس حوله، وأقبل شيخ طاعن بالسنّ، وهو يشكو الجوع قائلاً: يا نبيّ الله، أنا جائع فأطعمني، وعاري فاكسني، فأمره رسول الله ﷺ بإتيان بيت بضعته، فانطلق الأعرابي ووقف على باب سيّدة النساء فسلّم عليها، وقال لها: يا بنت محمّد، أنا عاري الجسد جائع فواسيني يرحمك الله، وكانت الزهراء في ضائقة اقتصادية، فلم تجد شيئاً تسعفه سوى جلد كبش كان ينام عليه ولداها الحسن والحسين، فقالت له:

« **خُذْ هـٰذا أَيُّها الشَّيْخُ** »، فزهد فيه وردّه إليها، فعمدت فاطمة إلى عِقد كان في عنقها فنزعته، وناولته له، كان قد أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطّلب، فأخذه الأعرابي وأقبل نحو رسول الله ﷺ وقال له:

أعطتني فاطمة هذا العقد، وقالت: بعه عسى الله أن يعوّضك به خيراً، فبكى النبيّ ﷺ وقال:

« **وَكَيْفَ لا يَصْنَعُ اللهُ بِكَ خَيْراً وَقَدْ أَعْطَتْهُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَيِّدَةُ بَناتِ آدَمَ** ».

فقام عمّار بن ياسر فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد ؟

قال: « **اشْتَرِهِ يا عمّار فَلَوْ اشْتَرَكَ فِيهِ الثَّقَلانِ ما عَذَّبَهُمُ اللهُ بِالنّارِ** ».

فقال عمّار: بكم العِقد يا شيخ ؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأُصلّي فيها لربّي، ودينار يبلّغني إلى أهلي.

فقال عمّار له: لك عشرون ديناراً ومأتا درهم هجريّة، وبردة يمانية، وراحلتي تبلّغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الشيخ: ما أسخاك بالمال أيها الرجل.

وانطلق الشيخ فرحاً مسروراً، وهو يقول: اللّهمّ لا إله لنا سواك، اللّهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

وعمد عمّار إلى العقد فطيّبه بالمسك ولفّه في بردة يمانية وأعطاه بيد عبد له وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له، ومضى العبد فرفع العقد إلى رسول الله ﷺ، فأمره النبيّ ﷺ أن يمضي به إلى فاطمة، فأخذته وأعتقت العبد، فضحك العبد.

فقالت: «ما يُضحِكُكَ يا غُلَام؟».

فقال: أضحكني عظيم بركة هذا العِقد، أشبع جائعاً، وكسا عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى صاحبه[1].

الزهد في الدنيا

ومن عناصر الصدّيقة وذاتياتها الزهد في الدنيا، والإعراض عن مباهجها، شأنها شأن أبيها الذي زهد في الدنيا، وشأن زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي طلّق الدنيا ثلاثاً، وهذه شذرات مشرقة من زهدها:

١ ـ لمّا نزلت هذه الآية الكريمة على النبيّ ﷺ وهي: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾[2] بكى النبيّ ﷺ بكاءً شديداً وبكى أصحابه لبكائه، ولم يعلموا سرّ بكائه، وسارع بعض الصحابة

---

(١) إعلموا أنّي فاطمة: ٩/٢٦٦.

(٢) الحجر ١٥: ٤٣ و ٤٤.

إلى سيّدة النساء فاطمة ﷺ فأخبرها، وكانت تطحن شعيراً وهي تقول: ﴿وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1]، فسلّم عليها وأخبرها ببكاء أبيها، فنهضت والتفّت بشملة خَلِقة قد خيطت بخوص النخل، فنظر إليها سلمان الفارسي فبكى وقال: واحزناه! بنات قيصر وكسرى في سندس وحرير وابنة رسول الله ﷺ عليها شملة صوف خَلِقة، ودخلت على رسول الله ﷺ وأخبرته بمقالة سلمان، ثمّ قالت له:

«وَالَّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! ما لِيَ وَلِعَلِيٍّ مُنْذُ خَمْسِ سِنِينَ إلَّا مِسْكُ كَبْشٍ نَعْلِفُ عَلَيْهِ بِالنَّهارِ بَعيرَنا، فَإذا كانَ اللَّيْلُ افْتَرَشْناهُ، وَإنَّ مِرْفَقَتَنا لَمِنْ أَدَمٍ حَشْوُها مِنْ لِيْفٍ».

فشكرها النبيّ ﷺ، والتفتت الزهراء ﷺ إلى أبيها وسألته عن سبب بكائه فأخبرها بنزول الآية، فخرّت لوجهها وقالت:

«الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِمَنْ دَخَلَ النّارَ»[2].

٢ ـ ومن زهدها في الدنيا ما رواه أنس، قال: جاءت فاطمة ﷺ إلى النبيّ ﷺ فقالت له:

«يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي وَابْنَ أَبِي طالِبٍ ما لَنا فِراشٌ إلَّا جِلْدَ كَبْشٍ نَنامُ عَلَيْهِ وَنَعْلِفُ عَلَيْهِ ناضِحَنا بِالنَّهارِ».

فقال النبيّ ﷺ: «يا بُنَيَّةُ، اصْبِري فَإنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ أَقامَ مَعَ امْرَأَتِهِ عَشْرَ سَنِينَ ما لَهما فِراشٌ إلَّا عَباءَةٌ قَطْوانِيَّةٌ»[3].

---

(١) القصص ٢٨: ٦٠.

(٢) إعلموا أنّي فاطمة: ١٦/٢.

(٣) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٢٧٤.

٣ ـ روى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري قال:

رأى النبيّ ﷺ ابنته فاطمة وعليها كساء رثّ، وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال لها:

«يا بِنْتاهُ، تَجَرَّعِي مَرارَةَ الدُّنْيا لِحَلاوَةِ الآخِرَةِ...».

وانبرت حبيبة رسول الله ﷺ معلنة الرضا بذلك قائلة:

«الْحَمْدُ للهِ عَلىٰ نَعْمائِهِ، وَالشُّكْرُ للهِ عَلىٰ آلائِهِ...»[١].

لقد عاشت سيّدة النساء حياة بسيطة لا ظلّ فيها لمتع الدنيا ولذائذها، وقد صوّرت في سلوكها حقيقة الإسلام، وأعطت للمرأة المسلمة دروساً للقناعة والرضا بما قسم الله تعالى.

قد طوت بضعة الرسول ﷺ جميع رغبات الحياة من الملبس والمأكل ونبذتها، واتّجهت بروحها وعواطفها نحو الله تعالى، وآثرت رضاه على كلّ شيء.

العفاف والحجاب

من ذاتيات سيّدة النساء العفّة والحجاب، فقد أعطت للمرأة المسلمة الدروس في ذلك لتكون في قمّة الكمال، وتكون مربّية الجيل والمنشئة للأبناء الصالحين الذين يكونون قرّة عين لآبائهم وأمّهاتهم، وهذه شذرات من عفاف بضعة الرسول ﷺ وحجابها:

١ ـ روى الإمام أمير المؤمنين ﷺ قال:

استأذن أعمى على فاطمة ﷺ فحجبته، فقال لها رسول الله ﷺ:

---

(١) سفينة البحار: ١/٥٧١.

«لِمَ حَجَبْتِهِ، وَهُوَ لَا يَراكِ؟».

فأجابته:

«إِنْ لَمْ يَكُنْ يَرانِي، فَإِنِّي أَراهُ».

وانبرى الرسول ﷺ يمجّد فيها هذه الروح قائلاً:

«أَشْهَدُ أَنَّكِ بَضْعَةٌ مِنِّي»(١).

وهذه البادرة تدلّ بوضوح على أنّ زهراء الرسول سلام الله عليها قد سمت إلى أرق مراتب الحشمة والعفّة والطهارة، وعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بسيّدة النساء، وتبني مجتمعاً إسلامياً متطوّراً قائماً على الشرف والفضيلة.

٢ ـ قدّم الإمام أمير المؤمنين ﷺ سؤالاً إلى بضعة الرسول ﷺ فقال لها:

«مَتىٰ تَكُونُ الْمَرْأَةُ أَدْنىٰ مِنْ رَبِّها؟».

فقالت ﷺ:

«أَنْ تَلْزَمَ قَعْرَ بَيْتِها...».

وعرض الإمام جوابها على رسول الله ﷺ فقال:

«صَدَقَتْ، إِنَّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي»(٢).

الحجاب زينة للمرأة وشرف لها، ومتى تزيّنت بالعفّة كانت في أرق منزلة، وأعزّ مكانة، وتنال بالحجاب إعجاب الجميع، أمّا إذا كانت مبتذلة في حجابها، وخالعة لعفافها، فإنّها تكون ممّن يزهد فيها المجتمع، ولا يقيم لها وزناً.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/٩١.

(٢) الجعفريات: ٩٥.

وعلى أي حال، فإنّ حجاب سيّدة النساء كان نوراً لكلّ فتاة تريد أن تعيش عزيزة في المجتمع. يقول الشيخ الإصفهاني:

وخِدرُها السامي رُواقُ العظَمه ... وهو مَطَافُ الكَعبةِ المُعظَّمَه
حِجابُها مثلُ حِجابِ الباري ... بارقَةٌ تَذهبُ بالأَبْصارِ
تَمثّلَ الواجِبُ في حِجابِها ... فَكيفَ بالإشراقِ مِنْ قِبابِها

الإيمان العميق بالله

ومن ذاتيات سيّدة النساء سلام الله عليها الإيمان العميق بالله تعالى، وقد تجلّى ذلك في عبادتها. وقد تحدّث الإمام الحسن عليه السلام عنها قائلاً:

«رَأَيْتُ أُمّي فاطِمَةَ عليها السلام في مِحْرَابِها لَيْلَةً، فَلَمْ تَزَلْ راكِعَةً ساجِدَةً حَتَى اتَّضَحَ عَمُودُ الصُّبحِ، وَسَمِعْتُها تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَتُسَمِّيهِمْ، وَتُكْثِرُ مِنَ الدُّعاءِ لَهُمْ، وَلَا تَدْعُو لِنَفْسِها بِشَيْءٍ، فَقُلْتُ لَها: يا أُمّاهُ، لِمَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ؟

فَقالَتْ: يا بُنَيَّ، الْجارَ ثُمَّ الدّارَ...»[(١)].

وتحدّث الحسن البصري عن عبادتها فقال:

ما كان في هذه الأُمّة أعبد من فاطمة عليها السلام، إنّها كانت تقوم حتّى تتورّم قدماها[(٢)].

---

(١) في رحاب أهل البيت عليهم السلام: ٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٨٤/٤٣.

وهكذا كانت بضعة رسول الله ﷺ تنفق لياليها ساهرة في عبادة الله تعالى والتبتّل إليه ، وهي أغلى فرص حياتها. وأُثرت عنها هذه الكلمة الذهبية وهي :

« مَنْ أَصْعَدَ إِلَى اللهِ خالِصَ عِبادَتِهِ أَهْبَطَ اللهُ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مَصْلَحَتِهِ »(١).

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة لله عادة ، كما كانت في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك لا تنام الليل وتقضيها في العبادة والدعاء ، وتحرّض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء ، وكانت تشكو من تورّم في قدميها لكثرة وقوفها بين يدي الله تعالى(٢).

انقطاعها إلى الله

وانقطعت بضعة رسول الله ﷺ إلى الله تعالى واعتصمت به والتجأت إليه في جميع أُمورها وشؤونها ، وكان ذلك ماثلاً في أدعيتها.

أمّا أدعية بضعة الرسول ﷺ فإنّها من كنوز التقوى ، ومن مناجم الإيمان ، وهذه صور منها :

١ ـ دعاؤها عليها السلام في الالتجاء إلى الله تعالى

من أدعيتها الشريفة هذا الدعاء الذي يمثّل مدى إخلاصها لله تعالى واعتصامها به ، وهذا نصّه :

« اللّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ ، أَحْيِنِي ما عَلِمْتَ

---

(١) بحار الأنوار : ٦٨/١٨٤.

(٢) فاطمة أُمّ أبيها : ٦٤.

الْحَياةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذا كانَتِ الْوَفاةُ خَيْراً لِي.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ، وَخَشْيَتَكَ فِي الرِّضا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ. وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضا بِالْقَضاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ النَّظَرَ إِلىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلىٰ لِقائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرّاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ.

اللّٰهُمَّ زَيِّنّا بِزِينَةِ الإِيمانِ، وَاجْعَلْنا هُداةً مَهْدِيِّينَ، يا رَبَّ الْعالَمِينَ»[١].

وفي هذا الدعاء الشريف تتجلّى مظاهر الإخلاص إلى الله والاعتصام به، والالتجاء إليه في جميع الأمور.

٢ ـ دعاؤها عليها السلام في الاعتصام بالله تعالى

ومن أدعيتها الشريفة هذا الدعاء في الاعتصام بالله تعالى:

«اللّٰهُمَّ قَنِّعْنِي بِما رَزَقْتَنِي، وَاسْتُرْنِي وَعافِنِي أَبَداً ما أَبْقَيْتَنِي، وَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي إِذا تَوَفَّيْتَنِي. اللّٰهُمَّ لا تُعْيِنِي فِي طَلَبِ ما لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي. وَما قَدَّرْتَهُ عَلَيَّ فاجْعَلْهُ مُيَسَّراً سَهْلاً.

اللّٰهُمَّ كافِ عَنِّي والِدَيَّ، وَكُلَّ مَنْ لَهُ نِعْمَةٌ عَلَيَّ خَيْرَ مُكافاةٍ.

اللّٰهُمَّ فَرِّغْنِي لِما خَلَقْتَنِي لَهُ، وَلا تَشْغَلْنِي بِما تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ،

---

(١) بحار الأنوار: ٩٤/٢٢٥.

وَلا تُعَذِّبْنِي وَأَنا أَسْتَغْفِرُكَ، وَلا تَحْرِمْنِي وَأَنا أَسْأَلُكَ.

اللّهُمَّ ذَلِّلْ نَفْسِي فِي نَفْسِي، وَعَظِّمْ شَأْنَكَ فِي نَفْسِي، وَأَلْهِمْنِي طاعَتَكَ وَالْعَمَلَ بِما يُرْضِيكَ، وَالتَّجَنُّبَ لِما يُسْخِطُكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ»[١].

وتجلّى الإخلاص إلى الله تعالى في هذا الدعاء الشريف الذي يكشف عن مدى روحانيّة بضعة الرسول ﷺ وانقطاعها إلى الله تعالى.

٣ ـ دعاؤها ؛ في تسبيح الله تعالى

سُبْحانَ مَنِ اسْتَنارَ بِالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ.

سُبْحانَ مَنِ احْتَجَبَ في سَبْعِ سَماواتٍ، فَلا عَيْنٌ تَراهُ.

سُبْحانَ مَنْ أَذَلَّ الْخَلائِقَ بِالْمَوْتِ، وَأَعَزَّ نَفْسَهُ بِالْحَياةِ.

سُبْحانَ مَنْ يَبْقى وَيَفْنى كُلُّ شَيْءٍ سِواهُ، سُبْحانَ مَنِ اسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَارْتَضاهُ.

سُبْحانَ الْحَيِّ الْعَلِيمِ، سُبْحانَ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ، سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحانَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ[٢].

كانت ؛ تلهج في تسبيح الله عزّ وجلّ والثناء عليه بهذا الدعاء الذي حكى مدى تعلّقها بالله تعالى.

---

(١) اعلموا أنّي فاطمة: ٥٧١/٩.

(٢) دعوات الراوندي: ٩١.

٤ ـ دعاؤها عليها السلام للأمر العظيم

بِحَقِّ يٰسٓ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وَبِحَقِّ طٰهٰ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يا مَنْ يَقْدِرُ عَلى حَوائِجِ السّائِلِينَ، يا مَنْ يَعْلَمُ ما فِي الضَّمِيرِ.

يا مُنَفِّساً عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يا مُفَرِّجاً عَنِ الْمَغْمُومِينَ، يا راحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يا رازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يا مَنْ لا يَحْتاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ(١).

كانت عليها السلام تدعو الله عزّ وجلّ بهذا الدعاء لكشف الهمّ وقضاء الحاجة.

٥ ـ دعاؤها عليها السلام في تيسير الأمور

اللّٰهُمَّ رَبَّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقانِ، فالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِهِ.

أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ(٢).

كانت عليها السلام تدعو الله عزّ وجلّ للغنى من الفقر وقضاء الدين.

---

(١) دعوات الراوندي: ٥٤. بحار الأنوار: ١٩٦/٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٧/٩٢.

٦ ـ دعاؤها عليها السلام في الاستشفاء

بِسْمِ اللهِ النُّورِ، بِسْمِ اللهِ نُورِ النُّورِ، بِسْمِ اللهِ نُورٌ عَلى نُورٍ. بِسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ، بِسْمِ اللهِ الَّذِي خَلَقَ النُّورَ مِنَ النُّورِ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ النُّورَ مِنَ النُّورِ، وَأَنْزَلَ النُّورَ عَلى الطُّورِ فِي كِتابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، بِقَدَرٍ مَقْدُورٍ، عَلىٰ نَبِيٍّ مَحْبُورٍ. الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هُوَ بِالْعِزِّ مَذْكُورٌ، وَبِالْفَخْرِ مَشْهُورٌ، وَعَلَى السَّرّاءِ وَالضَّراءِ مَشْكُورٌ. وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرِينَ(١).

كانت عليها السلام تدعو الله عزّ وجلّ لطلب الشفاء والعافية ودفع الحمى.

٧ ـ دعاؤها عليها السلام في الصباح والمساء

يا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَداً، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ(٢).

كانت عليها السلام تلهج بذكر الله عزّ وجلّ بالخشوع والتضرّع في الصباح والمساء بهذا الدعاء المبارك.

٨ ـ دعاؤها عليها السلام عند المنام

الْحَمْدُ للهِ الْكافِي، سُبْحانَ اللهِ الْأَعْلى، حَسْبِيَ اللهُ وَكَفى، ما شاءَ

---

(١) بحار الأنوار: ٦٧/٤٣ ـ ٦٨.

(٢) مهج الدعوات: ١٤١ ـ ١٤٢.

اللهُ قضى ، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعا ، لَيْسَ مِنَ اللهِ مَلْجَأٌ ، وَلا وَراءَ اللهِ مُلْتَجأٌ ﴿تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ما مِنْ دابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقيم﴾(١).

﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً﴾(٢).

كانت عليها السلام تدعو الله عزّ وجلّ في كلّ الأوقات بهذا الدعاء.

٩ ـ أدعية الأيام:

وكانت زهراء الرسول سلام الله عليها تدعو الله تعالى في كلّ يوم من أيام الاسبوع بدعاء خاصّ، وهذه أدعيتها:

دعاؤها عليها السلام في يوم السبت

وكانت تدعو في يوم السبت بهذا الدعاء الشريف:

«اللّهُمَّ افْتَحْ لَنا خَزائِنَ رَحْمَتِكَ. وهَبْ لَنا اللّهُمَّ رَحْمَةً لا تُعَذِّبُنا بَعْدَها فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَارْزُقْنا مِنْ فَضْلِكَ الْواسِعِ رِزْقاً حَلالاً طَيِّباً، وَلا تُحْوِجْنا. وَلا تُفْقِرْنا إِلىٰ أَحَدٍ سِواكَ، وَزِدْنا لَكَ شُكْراً، وَإِلَيْكَ فَقْراً وَفاقَةً، وَبِكَ عَمَّنْ سِواكَ غِنىً وَتَعَفُّفاً.

اللّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيْنا فِي الدُّنْيا، اللّهُمَّ نَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزْوِيَ وَجْهَكَ عَنّا

---

(١) هود ١١: ٥٦.

(٢) فلاح السائل: ٢٨٣. الدرّ المنثور: ٢٠٨/٤. والآية ١١١ من سورة الإسراء.

فِي حالٍ وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعْطِنا ما تُحِبُّ، وَاجْعَلْهُ لَنا قُوَّةً فِيمَا تُحِبُّ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

أرأيتم هذا الانقطاع والتبتّل إلى الله تعالى والاعتصام به! وهذه أرقى منزلة يتوصّل إليها العارفون والموحّدون.

دعاؤها عليها السلام في يوم الأحد

وكانت سلام الله عليها تدعو بهذا الدعاء الجليل في يوم الأحد، وهذا نصّه:

«اللّٰهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هٰذا فَلَاحاً، وَأَوْسَطَهُ صَلاحاً، وَآخِرَهُ نَجاحاً. اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ أَنابَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَهُ...».

حكى هذا الدعاء الشريف مدى تعلّق بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله بالخالق العظيم، والتجائها إليه في جميع شؤونها وأُمورها.

دعاؤها عليها السلام في يوم الاثنين

وكانت زهراء الرسول صلى الله عليه وآله تدعو الله تعالى بهذا الدعاء في يوم الاثنين:

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قُوَّةً فِي عِبادَتِكَ، وَتَبَصُّراً فِي كِتابِكَ، وَفَهْماً فِي حُكْمِكَ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلَا تَجْعَلِ الْقُرْآنَ بِنا ماحِلاً، وَالصِّراطَ زائِلاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنّا مُوَلِّياً».

ومعنى هذا الدعاء الطلب من الله تعالى القوّة في عبادته، والتبصّر بكتابه، والفهم لأحكامه، وأن لا يجعل القرآن الكريم بها ماحلاً، والصراط زائلاً، والرسول مائلاً. وهذا من أسمى ما يدعوا به العارفون.

دعاؤها عليها السلام في يوم الثلاثاء

اللّهُمَّ اجْعَلْ غَفْلَةَ النّاسِ لَنا ذِكْراً، وَاجْعَلْ ذِكْرَهُمْ لَنا شُكْراً، وَاجْعَلْ صالِحَ ما نَقُولُ بِأَلْسِنَتِنا نِيَّةً فِي قُلُوبِنا.

اللّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِنا، وَرَحْمَتَكَ أَرْجىٰ عِنْدَنا مِنْ أَعْمالِنا.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَوَفِّقْنا لِصالِحِ الْأَعْمالِ، وَالصَّوابِ مِنَ الْفِعالِ..».

وأنت ترى في هذا الدعاء من التوجّه إلى الله تعالى والاعتصام به والرجاء إلى عفوه ورضوانه ما يؤكّد عصمة الزهراء عليها السلام ومدى إيمانها الوثيق بالله تعالى.

دعاؤها عليها السلام في يوم الأربعاء

من أدعية بضعة الرسول صلى الله عليه وآله هذا الدعاء الشريف:

«اللّهُمَّ احْرُسْنا بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنامُ، وَرُكْنِكَ الَّذِي لا يُرامُ، وَبِأَسْمائِكَ الْعِظامِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْفَظْ عَلَيْنا ما لَوْ حَفِظَهُ غَيْرُكَ ضاعَ، وَاسْتُرْ عَلَيْنا ما لَوْ سَتَرَهُ غَيْرُكَ شاعَ، وَاجْعَلْ كُلَّ ذٰلِكَ لَنا مِطْواعاً، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ، قَرِيبٌ مُجِيبٌ...».

وفي هذا الدعاء الطلب من الله تعالى خير الدنيا من الحراسة عن الأسواء،

والستر من العيوب وغيرها من مساوئ الأعمال.

دعاؤها عليها السلام في يوم الخميس

وكانت بضعة الرسول ﷺ تدعو الله تعالى في يوم الخميس بهذا الدعاء:

اللّٰهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ الْهُدىٰ، وَالتُّقىٰ، وَالْعَفافَ، وَالْعَمَلَ بِما تُحِبُّ وَتَرْضىٰ.

اللّٰهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ مِنْ قُوَّتِكَ لِضَعْفِنا، وَمِنْ غِناكَ لِفَقْرِنا، وَمِنْ حِلْمِكَ وَعِلْمِكَ لِجَهْلِنا.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعِنّا عَلىٰ شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَطاعَتِكَ وَعِبادَتِكَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

وفي هذا الدعاء الطلب من الله تعالى أن يسعد الإنسان بفضائل الأعمال ومحاسن الصفات ومكارم الأخلاق التي يتميّز بها الإنسان عن غيره.

دعاؤها عليها السلام في يوم الجمعة

كانت الزهراء عليها السلام تدعو الله تعالى في يوم الجمعة بهذا الدعاء الشريف:

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنا مِنْ أَقْرَبِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ، وَأَوْجَهِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ، وَأَنْجَحِ مَنْ سَأَلَكَ وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ كَأَنَّهُ يَراكَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ الَّذي فِيهِ يَلْقاكَ، وَلا تُمِتْنا إِلّا عَلىٰ رِضاكَ.

اللّٰهُمَّ وَاجْعَلْنا مِمَّنْ أَخْلَصَ لَكَ بِعَمَلِهِ، وَأَحَبَّكَ مِنْ جَميعِ خَلْقِكَ.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لَنا مَغْفِرَةً جَزْماً حَتْماً لا نَقْتَرِفُ بَعْدَها ذَنْباً، وَلا نَكْتَسِبُ خَطِيئَةً وَلا إِثْماً.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلاةً نامِيَةً دائِمَةً زاكِيَةً مُتَتابِعَةً مُتَواصِلَةً مُتَرادِفَةً بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ»[1].

وأنت ترى في هذه الأدعية روح الإسلام وجوهره، ومدى الإيمان الوثيق بالله تعالى الذي كانت تتحلّى به بضعة الرسول ﷺ.

هذه كوكبة من أدعيتها التي تنمّ عن عظيم إيمانها بالله تعالى وانقطاعها إليه.

تسبيح الزهراء عليها السلام

من الأعمال المشرقة التي كانت تزاولها بضعة الرسول سلام الله عليها عقيب كلّ صلاة تصلّيها هو التسبيح الذي علّمها رسول الله ﷺ وخصّها به، وقد روى قصّته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«كانَتْ فاطِمَةُ أَحَبَّ النّاسِ لِأَبِيها، وَقَدْ أَثَّرَتِ الرَّحىٰ بِيَدَيْها، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتّىٰ أَثَّرَتْ فِي نَحْرِها، وَكَنَسَتِ الْبَيْتَ حَتّى اغْبَرَّتْ ثِيابُها، وَأَوْقَدَتِ الْقِدْرَ حَتّىٰ دَكَنَتْ ثِيابُها، وَأَصابَها مِنْ ذٰلِكَ ضُرٌّ، فَسَمِعْنا أَنَّ رَقِيقاً أُتِيَ بِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقُلْتُ لَها: لَوْ أَتَيْتِ أَباكِ فَسَأَلْتِيهِ خادِماً يَكْفِيكِ، فَأَتَتْهُ، فَوَجَدَتْهُ مَشْغُولاً، فَاسْتَحْيَتْ أَنْ تُراجِعَهُ، فَرَجَعَتْ.

وَفِي الْيَوْمِ الثّانِي بادَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِ فاطِمَةَ فَسَأَلَها عَنْ سَبَبِ مَجِيئِها

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

إِلَيْهِ، فاسْتَحْيَتْ أَنْ تُخْبِرَهُ، وَسارَعَ الْإِمامُ فَقالَ لَهُ:

«أَنا وَاللهِ! أُحَدِّثُكَ يا رَسُولَ اللهِ، إِنّها جَرَتْ بِالرَّحىٰ حَتّى أَثَّرَتْ في يَدَيْها، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتّى أَثَّرَتْ في نَحْرِها، وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتّىٰ اغْبَرَّتْ ثِيابُها، وَأَوْقَدَتِ الْقِدْرَ حَتّىٰ دَكَنَتْ ثِيابُها، وَبَلَغَنا أَنَّهُ أَتاكَ رَقِيقٌ أَوْ خَدَمٌ، فَقُلْتُ لَها: سَلِيهِ خادِماً».

وانبرى النبيّ ﷺ فاتحفها بما هو خير من جميع متع الحياة قائلاً:

«أَلا أُعَلِّمُكُما خَيْراً مِمّا سَأَلْتُماني إِذا أَخَذْتُما مَضاجِعَكُما تُكَبِّرا أَرْبَعاً وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحا ثَلاثاً وَثَلاثِين، وَتَحْمِدا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُما مِنْ خادِمٍ»[1].

يا لها من كلمات مشرقة تنعم بها قلوب العارفين والموحّدين، إنّها وسام شرف أتحفها الرسول ﷺ لبضعته التي هي سيّدة نساء العالمين.

وهذا التسبيح قد عنى به أهل البيت ﷺ فكانوا يعلّمونه لأبنائهم وبناتهم، وهو منهج تربوي رائع وغذاء للروح.

يقول الإمام الصادق ﷺ: «نُعَلِّمُ أَوْلادَنا ـ أَوْ صِبْيانَنا ـ حِفْظَ هذا التَّسْبِيحِ وَقِراءَتَهُ بَعْدَ الصَّلاةِ وَعِنْدَ النَّومِ».

إنّ هذا التسبيح تنزيه لله عن العبث، ومؤكّد للحكمة التي أقام الله عزّ وجلّ عليها الكون والحياة للإنسان، وقد اعتنت سيّدة النساء سلام الله عليها بهذا التسبيح،

---

(١) سنن أبي داود: ٢/٤٨٩ ـ ٤٩٠ ـ باب التسبيح عند النوم. صحيح البخاري: ٤/٢٠٨.

الذي هو أُنموذج رائع لقداستها وتبتّلها إلى الله تعالى، والذي يجب أن تتعاطاه الفاضلات من شيعتها، فإنّه ذخر وسلامة لهنّ.

خطابها الخالد

هذا الخطاب أروع مثل لجهاد سيّدة النساء الذي حاولت فيه إرجاع المسلمين إلى الخطّ الرسالي الذي رسمه أبوها لأُمّته صيانة لها من الانحراف والتردّي في مجاهل الحياة وآثامها، فأزالت به الشبهة وألقت به الحجّة وأنارت به الطريق.

إنّ هذه الخطاب المشرق أوضح عظمة الزهراء سلام الله عليها، وأنّ الله تعالى وهبها الحكمة وفصل الخطاب، فقد أدلت به في جامع أبيها وبحضور أبي بكر وسائر جهاز حكومته، وهو آية ساطعة ناطقة بعظم سيّدة نساء العالمين، وهو وحده من الأدلّة الحاسمة التي لا يتطرّق إليها الشكّ على أنّ الخلافة منصب إلهي تقلّده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام، وينبغي لرجال الفضل والعلم دراسة هذا الخطاب بصورة موضوعيّة وشاملة ليتبيّن مدى أصالة ما تذهب إليه الشيعة منذ فجر تأريخهم حتّى يوم النّاس هذا من أنّ الخلافة حقّ إلهي قلّدها الله تعالى والرسول المعظّم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

انظروا إلى هذا الخطاب العظيم وتأمّلوا فصوله لتقفوا على عظمة الزهراء سلام الله عليها وسموّ منزلتها وعظيم شأنها.

اَلْحَمْدُ للهِ عَلىٰ ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلىٰ ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ اِبْتَدَأَها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها[1]، جَمَّ عَنِ

---

(١) والاها: أي تابعها.

الْإِحْصاءِ عَدَدُها، وَنَأَىٰ عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الْإِدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بِالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإِجْزالِها، وَثَنىٰ بِالنَّدْبِ إِلىٰ أَمْثالِها.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنِعُ عَنِ الْأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ.

اِبْتَدَعَ الْأَشْياءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلَا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إِلىٰ تَكْوِينِها، وَلَا فائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِها، إِلَّا تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلىٰ طاعَتِهِ، وَإِظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإِعْزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ عَلىٰ طاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقابَ عَلىٰ مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً[١] مِنْهُ إِلىٰ جَنَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اِخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَلَهُ[٢]، وَاصْطَفاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ؛ إِذِ الْخَلائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الْأَهاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالىٰ بِمآيِلِ الْأُمُورِ، وَإِحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ.

اِبْتَعَثَهُ اللهُ إِتْماماً لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلىٰ إِمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ،

---

(١) حاش الإبل: جمعها وساقها.

(٢) اجتبله: أي خلقه.

فَرَأى الْأُمَمَ فِرَقاً فِي أَدْيانِها، عُكَّفاً عَلىٰ نِيرانِها، عابِدَةً لِأَوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها.

فَأَنارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَها[(١)]، وَجَلا عَنِ الْأَبْصارِ غُمَمَها[(٢)]، وَقامَ فِي النّاسِ بِالْهِدايَةِ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغِوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعِمايَةِ، وَهَداهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإِيْثارٍ، فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَعَبِ هٰذِهِ الدّارِ فِي راحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْمَلائِكَةِ الْأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الْغَفّارِ، وَمُجاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبّارِ، صَلَّى اللهُ عَلىٰ أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصُبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اِسْتَخْلَفَها عَلَيْكُمْ: كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُنْجَلِيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِداً إِلَى الرِّضْوانِ إِتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إِلَى النَّجاةِ اسْتِماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الْجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ

---

(١) بهمها: أي مبهماتها، وهي المشكلات من الأمور.

(٢) غممها: جمع غمّة، وهي: المبهم والملتبس.

الْكافِيَةُ ، وَفضائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ ، وَشَرائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ .

فَجَعَلَ اللهُ الْإِيمانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ ، وَالزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ ، وَنَماءً فِي الرِّزْقِ ، وَالصِّيامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ ، وَإِمامَتَنا أَماناً مِنَ الْفُرْقَةِ ، وَالْجِهادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الْأَجْرِ .

وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةَ الْأَرْحامِ مَنْسَاةً فِي الْعُمْرِ [١] ، وَمَنْماةً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجاباً لِلْعِفَّةِ ، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ .

﴿فاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيما أَمرَكُمْ بِهِ . وَنَهاكُمْ عَنْهُ . فَإِنَّهُ ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ .

أَيُّها النّاسُ ، اِعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً ، وَلَا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً ، وَلَا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً [٢] . ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ [٣] حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

---

(١) منسأة في العمر : مؤخّرة .

(٢) الشّطط : هو البعد عن الحقّ ومجاوزة الحدّ في كلّ شيء .

(٣) عنتّم : أنكرتم وجحدتم .

فَإِنْ تَعْزُوهُ[١] وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ، صادِعاً[٢] بِالنَّذارَةِ[٣]، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ[٤] الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ[٥]، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ[٦]، داعِياً إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ[٧]، حَتّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ.

حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ[٨]، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ[٩] الشَّياطِينِ، وَطاحَ[١٠] وَشِيظُ[١١] النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِماصِ[١٢].

---

(١) تعزوه: تنسبوه.

(٢) صادعاً: الصدع هو الإظهار.

(٣) النذارة: الإنذار، وهو الإعلام على وجه التخويف.

(٤) المدرجة: المسلك والمذهب.

(٥) الثبج: وسط الشيء.

(٦) الكظم: مخرج النفس.

(٧) النكت: إلقاء الشيء على رأسه.

(٨) أي انشق حتّى ظهر وجه الصباح.

(٩) الشقاشق: شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

(١٠) طاح: هلك.

(١١) الوشيظ: السفلة والرذل من الناس.

(١٢) البيض الخماص: المراد بهم أهل البيت عليهم السلام.

وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ(١)، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ(٢)، وَقَبْسَةَ الْعَجْلانِ(٣)، وَمَوْطِيءَ الْأَقْدامِ(٤)، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ(٥)، وَتَقْتاتُونَ الْقِدَّ(٦)، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ﴾، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ اللُّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ(٧)، وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ. ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ أَوْ نَجَمَ(٨) قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ(٩)، أَوْ فَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٠)، قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها(١١)، فَلَا يَنْكَفِيءُ(١٢) حَتّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ(١٣)، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ، سَيِّداً فِي أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً،

---

(١) مذقة الشارب: شربته.
(٢) نهزة الطامع: الفرصة أي محلّ نهزته.
(٣) قبسة العجلان: مثل في الاستعجال.
(٤) وموطئ الأقدام: مثل مشهور في المغلوبية والمذلّة.
(٥) الطرق: ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر.
(٦) القد: سير يقدُّ من جلد غير مدبوغ، أو اللحم اليابس.
(٧) بهم الرجال: شجعانهم.
(٨) نجم: ظهر.
(٩) قرن الشيطان: أُمّته وتابعوه.
(١٠) الفاغرة من المشركين: الطائفة منهم.
(١١) اللهوات: وهي اللحمة في أقصى شفة الفم.
(١٢) ينكفئ: يرجع.
(١٣) الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

مُجِداً كادِحاً، لا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وادِعُونَ[١] فاكِهُونَ[٢] آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوائِرَ[٣]، وَتَتَوَكَّفُونَ[٤] الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ مِنَ الْقِتالِ. فَلَمّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمأْوىٰ أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَت فِيكُمْ حَسِكَةُ[٥] النِّفاقِ، وَسَمَلَ[٦] جِلْبابُ[٧] الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ[٨] الْغاوِينَ، وَنَبَغَ خامِلُ[٩] الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ[١٠] فَنِيقُ[١١] الْمُبْطِلِينَ، فَخَطَرَ[١٢] فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ[١٣]، هاتِفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضاباً[١٤]، فَوَسَمْتُمْ[١٥] غَيْرَ إِبِلِكُمْ،

---

(١) وادعون: ساكنون.

(٢) فاكهون: ناعمون.

(٣) الدوائر: صروف الزمان، أي كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا.

(٤) التواكف: التوقّع.

(٥) الحسكة: الحقد والعداوة.

(٦) سمل: صار خلقاً.

(٧) الجلباب: الإزار.

(٨) الكظوم: السكوت.

(٩) الخامل: من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له.

(١٠) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته.

(١١) الفنيق: الفحل المكرم من الإبل، الذي لا يركب ولا يهان.

(١٢) خطر البعير بذنبه: إذا رفعه مرّة بعد مرّة وضرب به فخذيه.

(١٣) مغرزه: أي ما يختفي فيه تشبيهاً له بالقنفذ؛ فإنّه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.

(١٤) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

(١٥) الوسم: أثر الكيّ.

وَأَوْرَدْتُمْ[١] غَيْرَ شِرْبِكُمْ.

هـٰذا، وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ[٢] رَحِيبٌ[٣]، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، اِبْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾.

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّىٰ تُؤْفَكُونَ، وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، وَقَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ ﴿بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾. ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلىٰ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها[٤]، وَيَسْلَسَ[٥] قِيادُها، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها[٦]، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهُتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَإِطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً[٧] فِي ارْتِغاءٍ[٨]، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ

---

(١) **الورود**: حضور الماء للشرب.

(٢) **الكلم**: الجرح.

(٣) **الرحب**: الوسيع.

(٤) **نفرت الدابة**: جزعت وتباعدت.

(٥) **يسلس**: يسهل.

(٦) **وقدتها**: لهبها.

(٧) **الحسو**: هو الشرب شيئاً فشيئاً.

(٨) **الارتغاء**: هو شرب الرغوة، وهي اللبن المشوب بالماء. و«حسواً في ارتغاء» مثل يضرب لمن يُظهر شيئاً ويريد غيره.

وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ[١] وَالضَّرَاءِ[٢]، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلىٰ مِثْلِ حَزِّ الْمُدىٰ[٣]، وَوَخْزِ السِّنَانِ فِي الْحَشا.

وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَلاَّ إِرْثَ لَنا. ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

أَفَلَا تَعْلَمُونَ؟ بَلىٰ قَدْ تَجَلّىٰ لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَأُغْلَبُ عَلىٰ إِرْثِي؟

يَابْنَ أَبِي قُحافَةَ، أَفِي كِتَابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي؟

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً، أفعلىٰ عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُدَ﴾[٤]. وَقَالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا إِذْ قَالَ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٥].

وَقَالَ: ﴿وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٦].

وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٧].

---

(١) الخمر: ما واراك من شجر وغيره.

(٢) الضراء: الشجر الملتفّ بالوادي.

(٣) حزّ المدى: قطع السكاكين.

(٤) النمل ٢٧: ١٦.

(٥) مريم ١٩: ٥ و ٦.

(٦) الأنفال ٨: ٧٥ والأحزاب ٣٣: ٦.

(٧) النساء ٤: ١١.

وَقَالَ: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[١].

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِظْوَةَ[٢] لِي، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي، وَلَا رَحِمَ بَيْنَنا، أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟

أَمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوارَثَانِ؟ أَوَلَسْتُ أَنا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟

أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟

فَدُونَكَها مَخْطُومَةً[٣] مَرْحُولَةً[٤] تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ. فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، وَ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

يَا مَعاشِرَ النَّقِيبَةِ[٥]، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ، مَا هٰذِهِ الْغَمِيزَةُ[٦] فِي حَقِّي، وَالسِّنَةُ[٧] عَنْ ظُلَامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

---

(١) البقرة ٢: ١٨٠.

(٢) الحظوة: المكانة.

(٣) مخطومة: من الخطام، وهو كلّ ما يدخل في أنف البعير ليقاد به.

(٤) الرحل هو للناقة كالسرج للفرس.

(٥) النقيبة: الفتية.

(٦) الغميزة: ضعفة في العمل.

(٧) السّنة: النوم الخفيف.

أَبِي يَقُولُ: «الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»، سُرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلَانَ ذَا إِهالَةٍ[١]، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ؟

أَتَقُولُونَ: مَاتَ مُحَمَّدٌ؟ فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ[٢]، وَاسْتَنْهَرَ[٣] فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأُظْلِمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ. وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ. وَأَكْدَتِ[٤] الْآمالُ. وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ.

فَتِلْكَ وَاللهِ! النَّازِلَةُ الْكُبْرَىٰ، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَىٰ. لَا مِثْلُهَا نَازِلَةٌ، وَلَا بَائِقَةٌ[٥] عَاجِلَةٌ، أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَفْنِيَتِكُمْ. وَفِي مُمْسَاكُمْ وَمُصْبَحِكُم، يَهْتِفُ فِي أَفْنِيَتِكُمْ هِتَافاً وَصُراخاً، وَتِلَاوَةً وَإِلْحَاناً، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ، وَقَضَاءٌ حَتْمٌ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٦]. إِيهاً بَنِي قَيْلَةَ[٧]. أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأَىٰ مِنِّي وَمَسْمَعٍ

---

(١) إهالة: دسم اللحم. وسرعان في إهالة مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

(٢) الوهن: الخرق.

(٣) استنهر: اتسع.

(٤) أكدت: قلّ خيرها.

(٥) بائقة: داهية.

(٦) آل عمران ٣: ١٤٤.

(٧) قبيلتا الأنصار: الأوس والخزرج.

وَمُنْتَدىً[١] وَمَجْمَعٍ، تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمَلُكُمُ الْخُبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ[٢]، تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالنُّخْبَةُ الَّتِي انْتُخِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلَا نَبْرَحُ[٣] أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ، حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ، وَاسْتَوْسَقَ[٤] نِظَامُ الدِّينِ، فَأَنَّى حِرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ؟ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٥].

أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ[٦] إِلَى الْخَفْضِ[٧]، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ

---

(١) المنتدى: المجلس.

(٢) الجنّة: ما استترت به من السلاح.

(٣) لا نبرح: لا نزال.

(٤) استوسق: اجتمع.

(٥) التوبة ٩: ١٣، جاء في أعلام النساء ١٢٣/٤ بعد هذه الجملة: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ التوبة ٩: ١٢.

(٦) أخلدتم: ملتم.

(٧) الخفض: السعة والخصب واللين.

بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ[١]، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيْقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعِيتُمْ، وَدَسَعْتُمُ[٢] الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ[٣]، ﴿فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هٰذا عَلىٰ مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ، وَلٰكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ[٤] الْقَنَا[٥]، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ، فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا[٦] دَبِرَةَ[٧] الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ[٨]، بَاقِيَةَ الْعَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ الْجَبَّارِ، وَشَنَارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ، فَبِعَيْنِ اللهِ مَا تَفْعَلُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، ﴿فَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[٩].

---

(١) الدعة: الراحة والسكون.

(٢) الدسع: القيء.

(٣) تسوغتم: شربتم.

(٤) الخور: الضعف.

(٥) القنا: الرماح.

(٦) احتقبوها: أي احملوها على ظهوركم.

(٧) دبر البعير: أصابته الدبرة، وهي جراحة تحدث من الرحل.

(٨) نقب خف البعير: رقّ وتثقّب.

(٩) الاحتجاج: ١/١٣٢ ـ ١٤١. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد: ١٦/٢١٠. بحار الأنوار: ٢٩/٢١٦. وروى جمع من الأعلام قطعاً من هذه الخطبة منهم:

المسعودي في مروج الذهب: ٢/٣١١.

⇦

وانتهى هذا الخطاب الخالد الذي حكى عصمتها وأنّها فلذة من كبد رسول الله تحمل قيمه وأهدافه، وسموّ ذاته، وتشابهه في جهاده ومحنه.

إنّ هذا الخطاب العظيم جزء من رسالة الإسلام، وفيض من فيوضات النبوّة والإمامة، فقد وضعت الصدّيقة النقاط على الحروف، فقد نعت وأنكرت ما عليه الصحابة من الزيغ والانحراف عن سنن الحقّ، وعدم الاستجابة لنداء الإسلام الذي أمر باتّباع العترة الطاهرة والاقتداء بسلوكهم ومنهجهم.

ومن المؤسف أنّهم انحرفوا عن ذلك، فقد زاغت أبصارهم، وضلّوا عن الطريق القويم.

ومن آيات هذا الخطاب الخالد إنكارها على أبي بكر في إنكاره لميراث الصدّيقة الطاهرة من أبيها، وتأميمه لما خلّفه النبيّ ﷺ إلى الدولة، فقد احتجّت عليه بآيات المواريث التي تشمل بعمومها النبيّ ﷺ وعموم المسلمين، ورواية أبي بكر في عدم ميراث النبيّ ﷺ إنّما هو خبر واحد لا يصلح لتخصيص العامّ حسب ما أجمع عليه الأُصوليّون.

وعلى أيّ حال، فإنّ هذا الخطاب من الأدلّة الوثيقة الناصعة على ما تذهب إليه الشيعة من أنّ خلافة النبيّ ﷺ إنّما هي لأهل البيت، وعلى رأسهم سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

⇨ ابن منظور في لسان العرب: ٣٣١/١٢.
كحالة في أعلام النساء: ١١٦/٤ ـ ١١٩.
ابن طيفور في بلاغات النساء: ٤١٤.
ابن طاووس في كتاب الطرائف: ٢٦٣.
ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: ٢٧٣/٤.

المواقف البطوليّة في نصرة الإمام

ووقفت بضعة الرسول بصلابة وشموخ في نصرة الإمام، وأعلنت غضبها على أبي بكر الذي احتلّ منصب الخلافة الذي قلّده الرسول ﷺ للإمام، فقالت في خطابها التاريخي الخالد الذي ألقته على نساء المسلمين:

«أَصْبَحْتُ وَاللهِ عائِفَةً لِدُنْياكُنَّ، قالِيَةً لِرجالِكُنَّ، لَفَظْتُهُمْ[١] بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ[٢]، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ[٣]، فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْجِدِّ، وَقَرْعِ الصَّفاةِ، وَصَدْعِ الْقَناةِ، وَخَتَلِ الْآراءِ[٤]، وَزَلَلِ الْأَهْواءِ، وَبِئْسَ ﴿ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾[٥]، لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَها، وَحَمَّلْتُهُمْ أَوْقَتَها[٦]، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ عارَها، فَجَدْعاً وَعَقْراً وَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ.

وَيْحَهُمْ أَنّىٰ زَحْزَحُوها عَنْ رَواسِي الرِّسالَةِ، وَقَواعِدِ النُّبُوَّةِ وَالدَّلالَةِ، وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ، وَالطَّبِينِ[٧] بِأُمُورِ الدُّنْيا وَالدِّينِ، أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ

---

(١) **لفظتهم**: رميت بهم وطرحتهم.

(٢) **أي** بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم.

(٣) جرّبتهم واختبرتهم واحداً واحداً.

(٤) **ختل الآراء**: زيفها وخداعها.

(٥) المائدة ٥: ٨٠.

(٦) **أوقتها**: ثقلها.

(٧) **الطبين**: الفطن الحاذق العالم بكلّ شيء.

الْمُبِينُ، وَما الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ، نَقِمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَقِلَّةَ مُبالَاتِهِ لِحَتْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ، وَنَكالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ[١] في ذاتِ اللهِ.

وَتاللهِ لَوْ مالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللّائِحَةِ، وَزالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْواضِحَةِ لَرَدَّهُمْ إِلَيْها، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْها، وَلَسارَ بِهِمْ سَيْراً سُجُحاً[٢]، لَا يُكْلَمُ[٣] خِشاشُهُ، وَلَا يَكِلُّ سائِرُهُ، وَلَا يَمَلُّ راكِبُهُ، وَلَأَوْرَدَهُمْ مَنْهَلاً نَمِيراً صافِياً رَوِيّاً، تَطْفَحُ ضِفَّتاهُ، وَلَا يَتَرَنَّقُ جانِبَاهُ، وَلَأَصْدَرَهُمْ بِطاناً، وَنَصَحَ لَهُمْ سِرّاً وَإِعْلَاناً.

وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الدُّنْيا بِطائِلٍ، وَلَا يَحْظَى مِنْها بِنائِلٍ، غَيْرَ رَيِّ النّاهِلِ، وَشَبْعَةِ الْكافِلِ، وَلَبانَ لَهُمُ الزّاهِدُ مِنَ الرّاغِبِ، وَالصّادِقُ مِنَ الْكاذِبِ.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٤]، ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾[٥].

أَلَا هَلُمَّ فَاسْتَمِعْ، وَما عِشْتَ أَراكَ الدَّهْرُ عَجَباً، وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ، لَيْتَ شِعْرِي إِلىٰ أَيِّ سِنادٍ اسْتَنَدُوا، وَإِلىٰ أَيِّ عِمادٍ اعْتَمَدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ

---

(١) تنمّر: عبس وغضب.
(٢) سجحاً: سهلاً.
(٣) كلمه: جرحه.
(٤) الأعراف ٧: ٩٦.
(٥) الزمر ٣٩: ٥١.

تَمَسَّكُوا، وَعَلىٰ أَيَّةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَنَكُوا[١]؟

﴿لَبِئْسَ الْمَولىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾، ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

اسْتَبْدَلُوا واللهِ الذُّنابىٰ[٢] بِالْقَوادِمِ[٣]، وَالْعَجُزَ[٤] بِالْكاهِلِ[٥]، فَرَغْماً لِمَعاطِسِ[٦] قَوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾، وَيْحَهُمْ ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أَما لَعَمْرِي لَقَدْ لَقِحَتْ، فَنَظِرَةً رَيْثَما تُنْتِجُ، ثُمَّ احْتَلِبُوا مِلأَ الْقَعْبِ[٧] دَماً عَبِيطاً[٨]، وَذُعافاً[٩] مُبِيداً، هُنالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَيَعْرِفُ التّالُونَ غِبَّ[١٠] ما أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ طِيبُوا عَنْ دُنْياكُمْ أَنْفُساً، وَاطْمَئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جأْشاً، وَأَبْشِرُوا بِسَيْفٍ صارِمٍ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غاشِمٍ، وَبِهَرَجٍ شامِلٍ، وَاسْتِبْدادٍ مِنَ الظّالِمِينَ،

---

(١) احتنكه: استولى عليه.

(٢) الذنابى: مؤخّر الشيء.

(٣) القوادم: مقادم الريش.

(٤) العجز: مؤخّر الشيء.

(٥) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.

(٦) لمعطس: لأنف.

(٧) القعب: القدح.

(٨) الدم العبيط: الخالص الطري.

(٩) الذعاف: السمّ الذي يقتل من ساعته.

(١٠) الغب: العاقبة.

يَدَعُ فَيْئَكُمْ زَهِيداً، وَجَمْعَكُمْ حَصِيداً، فَيا حَسْرَةً لَكُمْ، وَأَنَّى بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وَالصَّلاةُ عَلى مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ[1].

وهذا عرض لمحتويات هذا الخطاب البالغ الأهمّية:

أوّلاً: إنّها شجبت الاعتداء الصارخ على العترة الطاهرة التي هي مركز الوحي والحكمة في الإسلام، فقد سلبت منهم الخلافة، ووضعت في غير موضعها.

ثانياً: إنّها ذكرت أهمّ الأسباب التي أدّت إلى بغض القوم للإمام وهي:

١ ـ نكير سيف الإمام الذي أطاح برؤوس المشركين من قريش وغيرهم من الذين ناهضوا الدعوة الإسلاميّة.

٢ ـ شدّة وطأة الإمام، فقد كان حتف المشركين وغيظ المنافقين، لم تأخذه في الله لومة لائم، وهو القائل:

«وَأَيْمُ اللهِ، لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلومَ مِنْ ظالِمِهِ، وَلآخُذَنَّ الظّالِمَ بِخِزامَتِهِ[2] **حَتّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كانَ كارِهاً»**[3].

٣ ـ تنمّر الإمام في ذات الله تعالى، فقد وهب حياته لإحياء دين الله تعالى، فخاض الغمرات والأهوال في أعنف المعارك وأقساها وأشدّها ضراوة.

---

(١) أعلام النساء ٤/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) الخزامة: حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخر الإبل.

(٣) نهج البلاغة: ١٩٤.

إنّ هذه الأسباب هي التي أدّت إلى زهد القوم في الإمام، وكراهتهم له، وحقدهم عليه.

ثالثاً: إنّ بضعة الرسول ﷺ أعربت في خطابها أنّ الأمّة لو قلّدت الإمام زمام الحكم لظفرت بأعظم المكاسب، والتي منها:

١ ـ إنّه يسير في المسلمين بسيرة لا مثيل لها في إشراقها، فإنّه يطبّق العدل بجميع رحابه ومفاهيمه.

٢ ـ إنّه يورد المسلمين منهلاً عذباً حافلاً بالأمن والرخاء.

٣ ـ إنّه ينصح للأمّة في السرّ والعلانيّة لو تولّى زمام الحكم.

٤ ـ إنّ الإمام لو تقلّد أمور المسلمين لما تمتّع بخيرات البلاد، وشارك البؤساء والمحرومين في آلامهم وجشوبة عيشهم، وفعلاً لمّا تقلّد الحكم اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه، وما وضع لبنة على لبنة، وهو القائل:

«أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لا عَهْدَ لَهُ بِالْقُوتِ وَلَا طَمَعَ لَهُ بِالشِّبَعِ»[1].

إنّ التاريخ الإنساني في جميع الأحقاب والآباد لم يشاهد مصلحاً اجتماعيّاً كالإمام في عدله، وسموّ ذاته.

٥ ـ عرضت سيّدة النساء أنّ الإمام لو تولّى أمور المسلمين لانتشرت الخيرات، وعمّت البركات، وأكل النّاس من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم، وعمّت

---

(١) نهج البلاغة: ٣/٣.

النِّعم والبركات جميع أنحاء الأرض ، ولكنّ القوم حرموا أنفسهم ، وحرموا المسلمين بجميع أجيالهم الصاعدة هذه النعمة الكبرى.

رابعاً : إنّ بضعة الرسول استشفّت من وراء الغيب إلى ما ستعانيه الأُمّة من الأزمات والفتن والأحداث الجسام من جرّاء صرف الخلافة عن سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن بينها :

١ ـ انتشار الفتن ، وانشقاق صفوف المسلمين ، وفلّ وحدتهم.

٢ ـ استبداد الظالمين بهم ، وتسلّطهم على إرهاقهم ، والتنكيل بهم ، وقد تحقّق ذلك ، فلم تمض إلّا سنين يسيرة حتّى استولى الأمويّون على المسلمين ، وسلّطوا عليهم شذاذ الآفاق يمعنون في ظلمهم وتعذيبهم ، كالمجرم زياد بن أبيه ، وبسر بن أرطاة ، والمغيرة بن شعبة ، وعبيدالله بن زياد ، والحجّاج بن يوسف الثقفي ، وغيرهم من الجلّادين والارهابيّين.

لقد قاومت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيّدة نساء العالمين حكومة أبي بكر لا طمعاً بالخلافة ولا رغبة في الملك والسلطان ، وإنّما من أجل إنقاذ المسلمين من الجور والاستبداد.

اعتذار مرفوض

حاول أبو بكر وصاحبه عمر أن يسترضيا بضعة الرسول ، ويطيّبا خاطرها ليضفيا على خلافتها الصبغة الشرعيّة ، فاستأذناها بالدخول عليها ، فأبت أن تأذن لهما ، فتكلّما مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أن يطلب لهما الإذن من سيّدة النساء ، فخفّ نحوها وعرض عليها ذلك ، فأجابت على كره ، فأذن الإمام لهما بالدخول ، فدخلا ، فأزاحت سيّدة النساء بوجهها عنهما ، وتقدّما يطلبان منها

العفو ، فقالت لهما :

« نَشَدْتُكُما اللهَ أَلَمْ تَسْمَعا رَسُولَ اللهِ يَقُولُ : رِضا فاطِمَةَ مِنْ رِضايَ ، وَسَخَطُ فاطِمَةَ مِنْ سَخَطِي ، فَمَنْ أَحَبَّ فاطِمَةَ ابْنَتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَرْضى فاطِمَةَ فَقَدْ أَرْضانِي ، وَمَنْ أَسْخَطَ فاطِمَةَ فَقَدْ أَسْخَطَنِي ؟ ».

فأجابا بالتصديق : أجل سمعناه يقول ذلك.

فرفعت كفّها إلى السماء وراحت تقول بحرارة وألم :

« فإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ أَنَّكُما أَسْخَطْتُمانِي وَما أَرْضَيْتُمانِي ، وَلَئِنْ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ لأَشْكُوَنَّكُما إِلَيْهِ ».

والتفتت إلى أبي بكر قائلةً :

« وَاللهِ ! لأَدْعُوَنَّ عَلَيْكَ فِي كُلِّ صَلاةٍ أُصَلِّيها »[١].

ما أشدّها من كلمات أخفّ وقعها من ضربات السيوف . فقد مادت الأرض تحتهما ودارت كالرحى ، وقاما خائبين ، ولم يظفرا برضا بضعة الرسول وسيّدة نساء العالمين ، واستبان لهما مدى النقمة والغضب عليهما.

إلى جنّة المأوى

وفتكت الأمراض ببضعة الرسول ، وتناهبت جسمها الآلام التي قاستها من القوم ، وأخذت تذوي كما تذوي الأزهار عند الضماء ، ومشى إليها الموت سريعاً

(١) الإمامة والسياسة ١٤/١. أعلام النساء ١٣١٤/٣. الإمام عليّ بن أبي طالب ـ عبدالفتّاح عبدالمقصود ٢١٧/١ ـ ٢١٨.

وهي في شبابها الغضّ الأهّاب.

فقد حان موعد لقاءها بأبيها الذي غاب عنها، وغابت معه عواطفه وحنانه الذي غمرها، فكانت تترقّب الالتحاق به لتشكو إليه ما عانته من الظلم والاعتداء من بعض صحابته.

وصيّتها عليها السلام

ولمّا بدت طلائع الرحيل إلى الله لسيّدة النساء استدعت ابن عمّها سيّد الأوصياء، فعهدت إليه بوصيّتها الخالدة، وكان من أهمّ بنودها:

١ ـ أن يواري جثمانها المقدّس في غلس الليل البهيم، ولا يحضر جنازتها أحد من الذين هضموها حقّها، وناصبوها العداء؛ لأنّهم أعداؤها وأعداء أبيها على حدّ تعبيرها.

٢ ـ أن يعفي ويستر موضع مرقدها ليكون رمزاً لغضبها على القوم غير قابل للشكّ والتأويل على مرّ الأجيال الصاعدة.

وفي ذلك يقول شريف مكّة:

قُلْ لَنا أيُها المُجادِلُ في القَولِ ... عَنِ الغاصِبَيْنِ إذْ غَصَباها

أهُما ما تَعَمَّدَاها كما قُلتَ ... بِظُلْمٍ كَلَّا وَلَا اهْتَضَماها

فلِماذا إذْ جُهِّزَتْ لِلقاءِ اللهِ ... عِندَ المَماتِ لم يَحْضُرَاها

شَيَّعَتْ نعْشَها مَلائِكَةُ الرّحمنِ ... رِفقاً بِها وما شَيَّعاها

كان زُهْداً في أَجْرِها أَمْ عِناداً ... لِأَبِيها النَّبِيِّ لم يَتْبَعاها

أَمْ لِأَنَّ البَتُولَ أَوْصَتْ بِأَنْ لا ... يَشْهدا دَفْنَها فما شَهِداها

أَمْ أَبُــوها أَســرَّ ذاكَ إِلَـيْها فَـأَطاعَتْ بِـنْتُ النَّـبِيِّ أَباها
كيفَ ما شِئْتَ قُلْ كَفاكَ فهذِي فِرْيَةٌ قد بَلَغَتْ أَقْصى مَداها[(١)]

وفي اليوم الأخير من حياتها شوهدت مبتسمة لأنّها على علم بمفارقتها لهذه الحياة ، فقد أخذت تتلو آيات من الذكر الحكيم ، وتوجّهت نحو القبلة ثمّ فاضت روحها الزكيّة ، تلك الروح التي لم يخلق مثلها فيما مضى وما هو آتٍ من الزمن عفّة وشرفاً وإيماناً بالله تعالى ، وقد انقطع بموتها آخر من كان في الدنيا من نسل رسول الله ﷺ ، وقد هرع المسلمون من كلّ صوب نحو بيت الإمام ليفوزوا بتشييع جثمان بضعة النبيّ ﷺ الذي برّ بدينهم ودنياهم ، وعهد الإمام إلى أبي ذرّ الغفاري أن يخبر الجماهير بتأخير تشييع الجثمان المقدّس إلى اليوم الثاني ، وتفرّقت الجماهير ، وأقبلت عائشة نحو بيت الإمام لتلقي نظرة على جثمان الصدّيقة الطاهرة ، فحجبتها أسماء وقالت لها:

«لقد عهدت إليّ أن لا يدخل عليها أحد»[(٢)].

ولمّا مضى من الليل شطره قام الإمام بلوعة وحزن بغسل الجسد الطاهر ، ومعه سبطا رسول الله ﷺ الحسنان ، وأسماء بنت عميس ، ثمّ أدرجها في أكفانها وهو غارق بالبكاء ، ودعا بأبنائها ليودّعوا أُمّهم التي لم ينتهلوا كثيراً من حنانها ، وتعالى صراخهم ، وقد مادت الأرض من كثرة بكائهم ، ولمّا حلّ الهزيع الأخير من الليل قام الإمام فصلّى على الجسد الطاهر ، ثمّ واراها في مقرّها الأخير ، وقد وارى معها الفضيلة والعفّة والكمال ، فما أظلّت قبّة السماء مكاناً أفضل

---

(١) المجالس السنية : ٢/١٣٧. حياة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام : ٤٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣/٣٦٥.

ولا أسمى من مرقدها الطاهر.

تأبين الإمام للزهراء عليها السلام

ووقف الإمام الحزين على حافّة القبر وهو يروي ثـراه بـدموع عـينيه ومـعه سبطا رسول الله ﷺ، وهما غارقان في البكاء، وألقى الإمام هذه الكلمات التي تمثّل لوعته وحزنه قائلاً:

« السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوارِكَ، السَّرِيعَةِ اللَّحاقِ بِكَ.

قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ. وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ « فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ».

لَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ؛ هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ كَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ »[١].

---

(١) نهج البلاغة: ٢/٢٠٧ و ٢٠٨.

وطفحت هذه الكلمات بالألم الممض والحزن العميق الذي أُصيب به الإمام على فقده لسيّدة نساء العالمين، فقد قلّ عنها صبره، ونأى عنه تجلّده، ثمّ إنّه طلب من النبيّ ﷺ أن يلحّ في السؤال من ابنته لتخبره عمّا جرى عليها من الظلم والنكبات والمآسي من بعض صحابته، فقد طافت بها الآلام والأحزان، وتجرّعت أقسى ألوان المصائب منهم.

تأسيس الزهراء عليها السلام لمذهب أهل البيت عليهم السلام

والشيء المؤكّد أنّ بضعة الرسول ﷺ هي التي أرست قواعد مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأقامت صروحه، وشيّدت بناءه، وذلك في مواقفها الحاسمة مع أبي بكر وشجبها لحكومته، وقد نظر المفكّرون في الإسلام بعمق ووعي إلى ذلك، وتمثّلت أمامهم وصايا النبيّ ﷺ ببضعته، فقد أحاطها بهالة من التعظيم والتكريم، وأناط رضاءها برضا الله تعالى وسخطها بسخطه، وأنّه ﷺ يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، وأنّها ماتت وهي غضبى على أبي بكر وواجدة عليه، فلم يتمكّن الأخيار والمتحرّجون في دينهم من الغضّ عن ذلك، وإلقاء الستار عليه، فتمسّكوا بزهراء الرسول وسارعوا على منهاجها، وأخذوا أحكام دينهم من الأئمّة الطاهرين من أبنائها، والتزموا بحرفيّة ما جاء عنهم من قواعد الآداب ومحاسن الأخلاق، وليس هناك أي دليل ينصّ على أنّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام والتديّن بما أُثر عنهم من الأحكام غير جائز وباطل، ولو كان هناك دليل يصحّ التعبّد والتمسّك به لما والوا أهل البيت عليهم السلام وتعبّدوا بما جاء عنهم من الأحكام.

السيّدة زينب

من السيّدات الخالدات في دنيا الإسلام سيّدة النساء زينب الكبرى ، فقد تجسّدت فيها جميع الصفات الكريمة من الإيمان والعلم والتقوى والعفّة والكرامة ، وهي التي أقامت صروح النهضة الفكريّة ، ونشرت الوعي الديني والسياسي في خطبها الحماسيّة على جماهير أهل الكوفة ، وفي أروقة الحكم الأموي ، فقد فضحت السياسة الأمويّة ، ودلّلت على زيفها ومصادمتها لأحكام القرآن وحقوق الإنسان.

إنّ سيّدة نساء العالمين زينب قد شيّدت صروح الإسلام ، ورفعت كلمة الله تعالى في الأرض . ولولاها لاندثرت النهضة الحسينيّة التي أعزّ الله تعالى بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأُولي الألباب ، فهي شريكة أخيها أبي الأحرار في ثورته الكبرى التي هزّت الضمير العالمي ، وغيّرت مجرى التاريخ ، وأيقظت العالم الإسلامي من سباته.

لقد شاهدت رائدة الجهاد في الإسلام فصول المأساة الخالدة في دنيا الأحزان ، وواكبت تلك الأحداث المروّعة التي تذوب من هولها الجبال ، فقد رأت الفتية من أبنائها وأبناء إخوتها وأعمامها مجزّرين كالأضاحي في صعيد كربلاء ، وقد أحاطت بها العلويّات والأطفال وهم يصرخون من ألم العطش ومن أليم ما حلّ بهم

من النكبات والخطوب ، وقد قابلت هذه الكوارث بالصبر.

يقول الحجّة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء :

لِلّهِ صَبرُ زَينَبِ العَقيلَة ... كَمْ شاهَدَتْ مَصائباً مَهولَة
رَأَتْ مِنَ الخُطوبِ وَالرَّزايا ... أَمْراً تَهونُ دونَهُ المَنايا
رأَتْ كِرامَ قَومِها الأماجِد ... مُجَزَّرينَ في صَعيدٍ واحِد
تَسْفي عَلىٰ جُسومِها الرِّياحُ ... وَهيَ لِذُؤْبانِ الفَلا تُباحُ
رَأَتْ رُؤوساً بِالقَنا تُشال ... وَجُثَثاً أَكْفانُها الرِّمالُ
رَأَتْ رَضيعاً بِالسِّهامِ يُفْطَمُ ... وَصِبْيَةً بَعْدَ أَبيهِمْ أُيْتِموا
رَأَتْ شَماتَةَ العَدُوِّ فيها ... وَصُنْعِهِ ما شاءَ في أَخيها
وَإِنَّ مِنْ أَدْهى الخُطوبِ السُّودِ ... وُقوفُها بَيْنَ يَدَي يَزيدِ[1]

وقد قابلت تلك الرزايا بالصبر والانقطاع إلى الله تعالى ، وكان من عظيم إيمانها بالله تعالى أنّها وقفت على جثمان أخيها أبي الأحرار الذي مزّقته السيوف وهو جثّة هامدة ، فرمقت السماء بطرفها وقالت كلمتها الخالدة.

« اللّهمَّ تَقبَّلْ مِنّا هذا القربان ».

لقد تضرّعت بطلة الإسلام إلى الله تعالى أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله ﷺ.

أي إيمان يضارع هذا الإيمان ؟

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة ﷺ : ٢٨٢.

أي تبتّل إلى الله تعالى يماثل هذا التبتّل ؟

إنّ الإنسانيّة تنحني إجلالاً أمام هذا الإيمان ، وأمام هذه النفس الملائكيّة.

وكان من عظيم إيمانها أنّها أدّت صلاة الشكر إلى الله تعالى ليلة الحادي عشر من المحرّم على ما وفّق أخاها في تضحيته ووفّقها على هذه المحن لخدمة الإسلام.

في الأسر

وحملت ودائع النبوّة ومخدّرات الرسالة سبايا بعد شهادة الإمام الحسين ﷺ ، وهنّ في قيد الأسر والذلّ والهوان ، فكان هذا جزاء النبيّ ﷺ من أمّته أن تحمل ودائعه وبناته سبايا يطاف بهنّ من بلد إلى بلد ، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، وهذه الرزايا من النتائج المباشرة للشعار الذي رفعه بعض الصحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ :

«لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد».

لقد آلت الخلافة إلى يزيد وأمثاله من الأمويّين والعبّاسيّين ، فأمعنوا في ظلم العلويّين والتنكيل بهم.

خطاب العقيلة في الكوفة

احتشدت شوارع الكوفة بالجماهير لتنظر إلى سبايا آل النبيّ ﷺ وهم ما بين واجم وباك وصارخ على عظيم ما اقترفوه من الجريمة النكراء التي اهتزّت الدنيا من هولها ، فقد أبادوا بسيوفهم عترة رسول الله ﷺ ، ومزّقوا أجسادهم ، وعلى رأسهم سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين ﷺ الذي جاء ليحرّرهم من الذلّ والعبوديّة ، وينقذهم من ذلك الحكم الإرهابي الأسود الذي سحق كرامتهم ،

ونشر الجور والظلم في بلادهم.

ووقفت حفيدة الرسول وسيّدة نساء العالم زينب ﷺ بصلابة وشموخ أمام ذلك المجتمع النحس الشقي، فألقت عليهم هذا الخطاب الخالد الذي نعت فيه جريمتهم التي لا تمحى في جميع الأحقاب والآباد والتي هي وصمة عار عليهم وعلى أسيادهم الأمويّين الذين زجّوا بهم إلى حرب محرّرهم وقائدهم سيّد شباب أهل الجنّة.

قالت سلام الله عليها:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ، وَالصَّلاةُ عَلىٰ جَدِّي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ[1] وَالْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟! فَلاَ رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ، وَلاَ هَدَأَتِ الرَّنَّةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ.

أَلاَ وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلِفُ وَالنَّطِفُ، وَالصَّدْرُ الشَّنِفُ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ، وَغَمْزُ الْأَعْدَاءِ؟! أَوْ كَمَرْعىً عَلىٰ دِمْنَةٍ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلىٰ مَلْحُودَةٍ، أَلاَ سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ.

أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟! إِيْ وَاللهِ فَابْكُوا كَثِيراً، وَاضْحَكُوا قَلِيلاً، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغَسْلٍ بَعْدَهَا أَبَداً، وَأَنّىٰ تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلاَذِ خِيَرَتِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ، وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ، وَمِدْرَةِ سُنَّتِكُمْ.

---

(١) في نسخة: «الغدر».

أَلَا سَاءَ مَا تَزِرُونَ، وَبُعْداً لَكُمْ وَسُحْقاً. فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.

وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ. أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ فَرَيْتُمْ؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ؟! لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا صَلْعَاءَ عَنْقَاءَ سَوْدَاءَ فَقْمَاءَ.

وَفِي بَعْضِهَا: خَرْقَاءَ شَوْهَاءَ، كَطِلَاعِ الْأَرْضِ وَمِلَاءِ السَّمَاءِ.

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَماً. وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَنْتُمْ لَا تُنْصَرُونَ، فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ الْمَهَلُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْفِزُهُ الْبِدَارُ وَلَا يَخَافُ فَوْتَ الثَّارِ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصَادِ»[١].

في مجلس ابن زياد

وأدخلت سبايا آل النبيّ ﷺ إلى قصر الإمارة، وكان الخبيث الدنس ابن زياد مسروراً بما أحرزه من قتل سيّد شباب أهل الجنّة، وسبيه لبنات رسول الله ﷺ، وقد وقفت سيّدة النساء أمام هذا المجرم بصلابة وشموخ، فاحتقرته واستهانت به وهي في قيد الأسر، فقال لها بلسانه الألكن متشفّياً ومنتصراً فيما يحسب:

«الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وكذّب أُحدوثتكم».

فانبرت له حفيدة الرسول فسدّدت له سهاماً من منطقها الفيّاض قائلة:

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٣/٣٣٥.

«الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَكْرَمَنا بِنَبِيِّهِ، وَطَهَّرَنا مِنَ الرِّجْسِ تَطْهيراً، إِنَّما يَفْتَضِحُ الْفاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنا يابْنَ مَرْجانَة»(١).

أرأيتم هذا القول الصارم الذي هو أمضّ من السلاح، فقد أنزلت ابن الباغية من عرشه إلى قبره، وعرّفته أمام تلك الوحوش المحيطة به إنّه هو المنهزم، وأخوها هو المنتصر، ولم يجد الحقير كلاماً يفوه به سوى التشفّي الآثم بإبادته لعترة رسول الله ﷺ قائلاً:

«كيف رأيت صنع الله بأخيك؟

انظروا إلى جوابها، قالت بكلمات النصر والظفر:

«ما رَأَيْتُ إِلَّا جَميلاً، هٰؤُلاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلىٰ مَضاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتُحاجُّ وَتُخاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ مَرْجانَةَ»(٢).

أرأيتم هذا التبكيت الموجع؟!

أرأيتم هذه الشجاعة العلويّة؟!

لقد سجّلت حفيدة الرسول الفخر للإسلام والعزّ للمسلمين والمجد الخالد للأُسرة النبويّة.

في بلاط يزيد

أمّا موقف سيّدة النساء في بلاط يزيد وخطابها الثوري، فقد هزّ العرش

---

(١) تاريخ الطبري: ٦/٢٦٣.

(٢) السيّدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: ٢٨٨.

الأموي ، وكشف الواقع الجاهلي لبني أُميّة ، ومن مكّنهم من رقاب المسلمين.

لقد امتلأ قلب يزيد فرحاً وسروراً بإبادته لعترة رسول الله ﷺ وهو يترنّم بأبيات ابن الزبعرى التي منها:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ
لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالُوا : يا يَزِيدُ لَا تُشَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ مِنْ ساداتِهِمْ ... وَعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ
لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا ... خَبَرٌ جاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَلْ

وأسرى آل البيت بين يديه بحالة من الذلّ لا توصف لقسوتها ومرارتها وهو جذلان مسرور يهزّ أعطافه؛ لأنّه استوفى ثأره ببدر من النبيّ ﷺ ، فانبرت إليه عقيلة بني هاشم غير حافلة بجبروته وسلطانه ، فخاطبته بكلمات الظفر والنصر الذي أحرزه أخوها قائلة:

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ ، صَدَقَ اللهُ سُبْحانَهُ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُوا السُّوىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [1] ، أَظَنَنْتَ يا يَزِيدُ ـ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطارَ الْأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ فَأَصْبَحْنا نُساقُ كَما تُساقُ الْأَسْرىٰ ـ أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً ، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً!! وَأَنَّ ذٰلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ!! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ ، جَذْلانَ مَسْرُوراً ، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً ،

---

(١) الرُّوم ٣٠: ١٠.

وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَةً، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلاً، لَا تَطِشْ جَهْلاً أَنَسِيتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ﴾[1].

أَمِنَ الْعَدْلِ يَابْنَ الطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرائِرَكَ وَإِماءَكَ وَسَوْقُكَ بَناتِ رَسُولِ اللهِ سَبايا؟! قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْداءُ مِنْ بَلَدٍ إِلىٰ بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنازِلِ[2] وَالْمَناقِلِ[3]، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حُماتِهِنَّ حَمِيٌّ.

وَكَيْفَ تُرْتَجىٰ مُراقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبادَ الْأَزْكِياءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ دِماءِ الشُّهَداءِ؟!

وَكَيْفَ يَسْتَبْطِأُ فِي بُغْضِنا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنا بِالشَّنَفِ[4] وَالشَّنَآنِ وَالْإِحَنِ وَالْأَضْغانِ؟!

ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ:

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قالُوا: يا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

---

(١) آل عمران ٣: ١٧٨.

(٢) في نسخة: «المناهل»، جمع منهل، وهو موضع الشرب في عيون الماء، والمراد الساكنون فيها.

(٣) في نسخة: «المعاقل»، وهم سكنة الحصون.

(٤) الشنف: البغض والعداء.

مُنْحَنِياً عَلىٰ ثَنايا أَبِي عَبْدِ اللهِ ﷺ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِكَ.

وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذٰلِكَ، وَقَدْ نَكَأْتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ، بِإِراقَتِكَ دِماءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟! وَتَهْتِفُ بِأَشْياخِكَ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُنادِيهِمْ!

فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكاً مَوْرِدَهُمْ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شُلِلْتَ وَبُكِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ ما قُلْتَ وَفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

أَللّٰهُمَّ خُذْ بِحَقِّنا، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا، وَاحْلُلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِماءَنا وَقَتَلَ حُماتَنا.

فَوَاللهِ ما فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَلَتَرِدَنَّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِماءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِتْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ وَيَلُمُّ شَعْثَهُمْ وَيَأْخُذُ بِحُقُوقِهِمْ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١).

وَحَسْبُكَ بِاللهِ حاكِماً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ خَصِيماً، وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقابِ الْمُسْلِمِينَ، بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً.

وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهِي مُخاطَبَتَكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لٰكِنِ الْعُيُونُ عَبْرىٰ، وَالصُّدُورُ حَرّىٰ.

---

(١) آل عِمْران ٣: ١٦٣.

فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباءِ بِحِزْبِ الشَّيْطانِ الطُّلَقاءِ، فَهٰذِهِ الْأَيْدي تَنْطِفُ[١] مِنْ دِمائِنا، وَالْأَفْواهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحومِنا، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّواهِرُ الزَّواكي تَنْتابُهَا الْعَواسِلُ[٢] وَتَعْفِرُها أُمَّهاتُ الْفَراعِلِ[٣]، وَلَئِنِ اتَّخَذْتَنا مَغْنَماً لَتَجِدُنا وَشيكاً مَغْرَماً، حينَ لا تَجِدُ إِلَّا ما قَدَّمَتْ يَداكَ، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبيدِ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكىٰ، وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ.

فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَناصِبْ جَهْدَكَ، فَوَاللهِ لا تَمْحُو ذِكْرَنا، وَلا تُميتُ وَحْيَنا، وَلا تُدْرِكُ أَمَدَنا، وَلا تَرْحَضُ عَنْكَ عارَها.

وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَد، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَد، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادي: أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ.

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذي خَتَمَ لِأَوَّلِنا بِالسَّعادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلِآخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزيدَ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلافَةَ، إِنَّهُ رَحيمٌ وَدودٌ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ[٤].

وهذا الخطاب من مكوّنات المذهب الشيعي، فقد أبرز حقيقة أهل البيت عليهم السلام،

---

(١) تنطف: أي تشرب من دمائنا وتستوفي منه.

(٢) العواسل: جمع عاسل، وهو الذئب.

(٣) الفراعل: جمع فرعل، ولد الضبع.

(٤) أعلام النساء: ٢/٥٠٤. بلاغات النساء: ٢١. مقتل الخوارزمي: ٢/٦٤. السيّدة زينب وأخبار الزينبيّات: ٨٦. الحدائق الورديّة: ١/١٢٩. اللهوف: ٧٩.

وأنّهم من النمط الرسالي الذي لا يماثلهم أحد من الصحابة وغيرهم ، فقد اختارهم الله تعالى لأداء رسالته وإتمام حجّته على عباده ، وأنّهم الأدلّاء على عبادته ، والقادة إلى سبيله ، وأنّ مودّتهم فرض ، والتعبّد بما أُثر عنهم من أحكام واجب.

وعلى أي حال ، فإنّ هذا الخطاب أروع خطاب سياسي وديني في الإسلام ، وهو من متمّمات النهضة الحسينيّة الخالدة ، فقد دمّرت حفيدة الرسول جبروت الطاغية ، وألحقت به وبأبيه ومن ولّاهم ومكّنهم من رقاب المسلمين العار والخزي ، وقد عرّفت الطاغية أنّ أهل البيت لا تنحني جباههم أمام الطغاة والظالمين.

محتويات الخطاب

وحفل هذا الخطاب العظيم بأهمّ القيم الكريمة والتي منها :

١ ـ إنّ العقيلة سحقت غرور الطاغية وطيشه ، فقد حسب أنّه المنتصر ؛ وذلك بما يملك من القوى العسكريّة التي ملأت البيداء بالجيوش وآفاق السماء بالرايات ، وهذا من خطل الآراء ، فإنّ النصر ليس بذلك ، وإنّما النصر الحاسم الذي أحرزه أخوها أبو الشهداء الذي ملك العواطف والقلوب ، وصار أروع مثل لكرامة الإنسان ، وعظمة الإسلام ، وأمّا خصمه هو وأبوه ففي مزبلة التاريخ يلاحقهم العار والخزي على امتداد الزمن.

٢ ـ من محتويات الخطاب طيش الطاغية ، وقلّة فهمه ، وجمود فكره ، فقد حسب أنّ انتصاره المؤقّت على الإمام إنّما هو لكرامته عند الله وهوان أهل البيت عليهم السلام ، ولم يعلم أنّ الله تعالى إنّما يملي نعمه على الكافرين في هذه الدنيا ليزدادوا إثماً ولهم في الآخرة عذاب أليم.

٣ ـ إنّ إقدام الطاغية على سفك دماء ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله كان مدفوعاً بحكم

نشأته ومواريثه، فجدّته هند التي هي من ألدّ أعداء النبيّ ﷺ، وقد مثّلت بالشهيد الخالد حمزة شرّ تمثيل، وجدّه أبو سفيان العدوّ الأوّل للإسلام، وأبوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين، وانتهك جميع ما حرّم الله، فهؤلاء الأصل الذي تفرّع منه هذا الخبيث، فاقترافه للجرائم من طباعه وعناصره.

٤ ـ إنّ الخطاب قد أنكر على يزيد ما تمثّل به من الشعر الذي تمنّى فيه حضور أسلافه الذين حصد رؤوسهم الإسلام ليروا كيف أخذ ثأرهم من النبيّ ﷺ فأباد أعزّ أبنائه.

٥ ـ إنّ الصدّيقة الطاهرة أعلنت في خطابها أنّ يزيد بقتله لأبناء النبيّ ﷺ لم يسفك إلّا دمه، فإنّ تلك النفوس حيّة وخالدة لأنّها سادة الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

٦ ـ إنّ خطاب الصدّيقة قد حمل المسؤوليّة على قتل العترة الطاهرة على من مكّن يزيد من رقاب المسلمين، وهو معاوية ومن ولّاه، فهم المسؤولون عمّا اقترفه هذا المجرم من الآثام.

٧ ـ إنّ حفيدة الرسول ﷺ أظهرت في خطابها سموّ مكانتها، وعظيم منزلتها، وأنها أجلّ وأسمى من أن تكلّم هذا الإنسان الممسوخ، فلم تحفل بسلطانه، واستصغرته واستهانت به.

٨ ـ إنّ عقيلة بني هاشم عرضت في خطابها إلى أنّ يزيد مهما بذل من جهد لمحو ذكر أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يستطيع ذلك، وأنّ ذكرهم خالد وباقٍ إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها؛ لأنّهم مع الحقّ، وفعلاً فقد انتصر الحسين عليه السلام،

وتحوّلت مأساته إلى مجد لا يبلغه أي مصلح اجتماعي ، فها هي الدنيا تعجّ بذكره وتتلو مآثره ، وقد خبا ذكر يزيد وأبوه وسائر أُسرته.

هذا بعض ما احتواه خطاب سيّدة النساء من النقاط المهمّة ، مضافاً إلى فصاحته وبلاغته ، فهو من مناجم الأدب والفصاحة.

موقف آخر لزينب عليها السلام مع يزيد

وموقف آخر من مواقف البطولات لسيّدة النساء مع يزيد ، فقد نظر شامي إلى السيّدة فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو بنت الإمام الحسين عليه السلام ، فقال ليزيد :

« هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي ».

وسرت الرعدة بجسم السيّدة ، فتعلّقت بأثياب عمّتها مستجيرة بها ، فانبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله إلى الشامي قائلة :

« كَذِبْتَ وَلَؤُمْتَ ما ذلِكَ لَكَ ، وَلَا لأَميرِكَ ».

واستشاط يزيد غضباً لعدم مبالاة العقيلة به واحتقارها له ، فقال :

« كذبت ولؤمت أنّ ذلك لي ولو شئت لفعلت ».

فتحدّته العقيلة وقالت بشجاعة أبيها :

« كَلّا وَاللهِ ، ما جُعِلَ لَكَ ذلِكَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ عَنْ دينِنا وَتَدينَ بِغَيْرِ دينِنا ».

وتميّز المجرم غيظاً ، فقد تحدّته واحتقرته حفيدة الرسول أمام أشراف أهل الشام ، فصاح بها بعنف :

« إيّاي تستقبلين بهذا ، إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك ».

وانبرت إليه سيّدة النساء غير حافلة بسلطانه ولا بقدرته على البطش قائلة له :

«بِدينِ اللهِ وَدينِ جَدِّي وَأَبي اهْتَدَيْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِماً».

وأزالت العقيلة بهذا الكلام الصارم الستار الذي التحف به هو وأبوه معاوية من الاعتناق للإسلام، وأنّى يكون يزيد وأبوه من المسلمين وهما على حدّ سواء في الكفر والمروق من الدين والحقد على الإسلام.

ولم يجد الطاغية جواباً يجيب به سوى الشتم الذي هو سلاح الساقطين، فقال:

«كذبت يا عدوّة الله».

ولم تجد شقيقة الإمام وفخر بنات حوّاء جواباً تحسم به مهاترات يزيد سوى أن قالت له:

«أَنْتَ أَميرٌ مُسَلَّطٌ تَشْتِمُ ظُلْماً وَتَقْهَرُ بِسُلْطانِكَ».

وتهافت غضب الطاغية، وأطرق برأسه إلى الأرض، وأعاد الشامي كلامه إلى يزيد غير ملتفت إلى كلام الحوراء، فصاح به يزيد:

«وهب الله لك حتفاً قاضياً»[1].

لقد احتفظت عقيلة الوحي بقواها الذاتيّة التي ورثتها من جدّها وأبيها، فلم توهن عزيمتها أمام تلك المحن الشاقّة، فقابلت أعداء الإسلام بكلّ جرأة وشموخ. يقول بعض الكتّاب:

> «وقد حقّقت زينب -وهي في ضعفها- واستكانتها أوّل نصر حاسم على الطغاة، وهم في سلطانهم وقوّتهم، فقد أفحمته المرّة بعد المرّة، وأظهرت للملأ جهله، كما كشفت عن قلّة فقهه -أي يزيد- في شؤون الدين، فإنّ نساء

---

(١) تاريخ الطبري: ٦/٢٦٠.

المسلمين لا يصح مطلقاً اعتبارهنّ سبايا ومعاملتهنّ معاملة السبي في الحروب»[١].

إنّ شريعة معاوية وولده يزيد لا علاقة لها بالإسلام، وإنّما هي وثنيّة وعلى خطّ أبي سفيان الذي لم يؤمن بالله طرفة عين.

إلى الرفيق الأعلى

وخلدت عقيلة الوحي إلى الأسى والحزن، فقد طافت بها الرزايا والمحن والخطوب، وكانت تراودها في كلّ لحظة رزايا كربلاء وما حلّ بأخيها وأهل بيته من القتل والتمثيل، وما جرى عليها من السبي، وغير ذلك من الأحداث الجسام التي تذوب الجبال من هولها، وقد صارت شبحاً لا تقوى حتّى على الكلام، وكان تندب بذوب روحها أخاها قائلة:

«واأَخاه».

«وا شَقيقاه».

«وا حُسَيْناه».

«وا أَهْلَ بَيْتاه».

ثمّ تهوي إلى الأرض مغشيّاً عليها، وقد ذوت كما ذوت أُمّها زهراء الرسول ﷺ وبقيّة النبوّة، وكان أحبّ شيء عندها مفارقة الحياة والالتحاق بجدّها رسول الله ﷺ لتشكو إليه ما عانته من المحن والرزايا، وما جرى على أخيها من القتل والتمثيل.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٣/٣٩٠.

وتناهبت الأمراض جسمها الرقيق المعذّب، ولم تلبث إلّا قليلاً حتّى رفعت روحها الطاهرة إلى الله تعالى كأسمى روح صعدت إلى السماء، تحفّها ملائكة الله تعالى وأنبياؤه، وهي ترفع إلى الله تعالى شكواها على ما عانته من المحن والخطوب التي لم يمتحن بمثلها أي إنسان منذ خلق الله تعالى الأرض.

فسلام الله عليها، ونفحات من روحه على تلك الذات العظيمة التي لم يخلق مثلها فيما مضى من الزمن وما هو آتٍ. وكانت وفاتها سنة (٦٢هـ) في يوم الأحد لخمسة عشر مضين من شهر رجب[١] على أرجح الأقوال.

---

(١) السيّدة زينب وأخبار الزينبيّات / العبدلي: ٩٠.

أُمُّ البَنِين

من السيّدات الكريمات الزاكيات فاطمة بنت حزام ، وهو من أعمدة الشرف في العرب ، ومن الشخصيّات النابهة في السخاء والشجاعة وقرى الأضياف.

اقترن الإمام أمير المؤمنين بهذه السيّدة الفاضلة بعد وفاة سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول ﷺ ، فقامت هذه الزكيّة الطاهرة برعاية سيّدي شباب أهل الجنّة سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين ﷺ ، وقد وجدا عندها من الرعاية والعطف ما عوّضهما عن المصيبة القادحة التي منيا بها بفقد أُمّهما سيّدة نساء العالمين ، فقد توفّيت وعمرها كعمر الزهور ، وترك فقدها اللوعة والحزن في نفسيهما.

لقد كانت أُمّ البنين تكنّ في نفسها أعظم المودّة والإخلاص لسبطي رسول الله ﷺ ما لا تكنّه لأولادها الذين كانوا ملء العين في آدابهم وكمالهم.

لقد قدّمت هذه المرأة الصالحة ابني رسول الله ﷺ على أبنائها في الخدمة والرعاية ، ولم يعرف التاريخ أنّ ضرّة أخلصت لأبناء ضرّتها وقدّمتهم على أبنائها سوى هذه الطاهرة الزكيّة ، فكانت ترى بخدمتها للسيّدين واجباً وشرفاً وتقرّباً إلى الله تعالى ، وقد مرض الحسنان ، فكانت ترعاهما ليلاً ونهاراً كالأُمّ الرؤوم ، وتقدّم لهما جميع الخدمات حتّى برئا من مرضهما.

قال في حقّها الشهيد ـ وهو من كبار فقهاء الإماميّة ـ:

«كانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحقّ أهل البيت ﷺ، مخلصة في ولائهم، ممحضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه العظيم، والمحلّ الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى ﷺ بعد وصولها المدينة تعزّيها بأولادها الأربعة، كما كانت تعزّيها أيّام العيد»[1].

وقال في حقّها حجّة الإسلام الشيخ هادي آل كاشف الغطاء:

« أُمُّ الْـبَنينِ طـابَتِ الأبْناءُ　　منكِ كما قَدْ طابَتِ الآباءُ
أُمُّ الأسودِ مِنْ بَني عمرو العُلى　　أُمُّ الحُماةِ والأُباةِ النُّبلاء
أُمُّ أبي الفَضلِ وأُمُّ جَعْفَرِ　　وأُمُّ عَبْدِاللهِ شِبْلُ حَيدَرِ
وأُمُّ عُثْمانَ الّذي أَسْماهُ　　باسْمِ ابنِ مَظْعونَ الأَبُ الأَوّاهُ[2]
الأَنْجَبينَ الطّاهرينَ أَنْفُسا　　الأَكْرَمينَ الطَّيِّبينَ مَغْرَسا »[3]

من رثائها لأولادها

وكانت أُمّ البنين تبكي على سيّد شباب أهل الجنّة وعلى أبنائها الأربعة أمرّ البكاء، وتندبهم بأشجى ندبة، حتّى يبكي كلّ من سمعها، حتّى مروان بن الحكم مع شدّة عدوانه كان يبكي لبكائها[4].

لا تَدعُوني ويكِ أُمَّ البَنينِ　　تُذَكّريني بِلُيُوثِ العَرينِ

---

(١) العبّاس رائد الكرامة والفداء في الإسلام: ٢٩.

(٢) أشار كاشف الغطاء إلى أنّ الإمام إنّما سمّى ولده بعثمان تشبيهاً له بعثمان بن مظعون الصحابي الجليل لا بعثمان بن عفّان شيخ الأمويّين.

(٣) المقبولة.

(٤) منتهى الآمال / عبّاس القمّي: ٦٨٩.

كـانَت بَـنونٌ ليَ أُدْعى بهم   وَاليَومَ أَصْبَحْتُ وَلَا مِنْ بَنينِ
أَرْبَعَةٌ مِثْلُ نُسورِ الرُّبى   قَد واصَلوا المَوتَ بِقطعِ الوَتينِ
يا لَيْتَ شِعري أَكما أَخْبَروا   بِأَنَّ عبّاساً قطيعُ اليَمينِ

قال العلّامة الشيخ عبدالله المامقاني بعد ما ذكر أولادها الأربعة الذين استشهدوا بين يدي الإمام الحسين ﷺ:

«ويستفاد قوّة إيمانها، إنّ بِشراً كلّما نعى إليها بعد وروده المدينة أحداً من أولادها الأربعة قالت: اخبرني عن الحسين، فلمّا نعى أبناءها الأربعة قالت: قطّعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلّهم فداء للحسين، أخبرني عن الحسين. فإنّ علاقتها بالحسين لإمامته وتهوينها على نفسها موت مثل هؤلاء الأشبال يكشف عن مرتبة في الديانة الرفيعة»(١).

مكانتها عند المسلمين

تحتلّ هذه المرأة الطيّبة مكانة مرموقة في نفوس المسلمين، وذلك لعظيم إيمانها، وسموّ منزلتها عند الله تعالى، وأنّ شيعة أهل البيت يلتجئون إلى هذه السيّدة إذا ألمّت بهم كارثة من كوارث الزمن، ويتوسّلون إلى الله تعالى ليكشف ما بهم من سوء. وأنّ الله تعالى يستجيب لهفتهم ويكشف عنهم ما هم فيه من البلاء، وهذا أمر مجرّب، فإنّ هذه السيّدة لها المنزلة العظمى عند الله تعالى، فقد قدّمت أفلاذ كبدها فداء لسيّد شباب أهل الجنّة، فتحيّات من الله تعالى ورضوان لهذه المرأة الصالحة.

---

(١) تنقيح المقال: ١٩٨/٢.

وفاتها

ذكر كتاب كنز المطالب تأليف العلّامة السيّد محمّد باقر القرباغي الهمداني:

«كانت وفاتها في جمادى الثانية، في الثامن عشر منه، وكان يوم جمعة، دخل الفضل بن العبّاس وهو باك حزين على الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يقول: لقد ماتت جدّتي أُمّ البنين عليها السلام»[١].

«وقيل توفّيت في الثالث عشر من جمادى الثاني سنة ٦٤هـ»[٢].

(١) أُمّ البنين سيّدة نساء العرب / الخطيب السيّد مهدي السويج البصري: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) وقائع الشهور والأيام: ٣٠٠.

نسيبة المازنيّة

من النساء الفاضلات الخالدات في التاريخ نسيبة المازنيّة، كانت مثالاً للعفّة والشرف والفضيلة، وقد جاهدت في سبيل الله تعالى كأعظم ما يكون الجهاد، وكانت تخرج مع النبيّ ﷺ في غزواته، ويصحبها ابنها، وقد أراد ابنها أن ينهزم في بعض غزوات النبيّ ﷺ فردّته وقالت له:

«يا بنيّ، إلى أين تفرّ من الله تعالى، وعن رسوله؟».

وحمل عليه رجل فقتله، فأخذت نسيبة سيف ابنها وحملت على القاتل فقتلته، وشكر النبيّ ﷺ جهادها، ووقفت إلى جانب النبيّ ﷺ تقيه بروحها وبدنها حتّى أصابتها جراحات كثيرة[1].

لقد كانت المازنيّة صفحة مشرقة في جهادها وإيمانها، وهي من النماذج الرفيعة في دنيا المرأة المسلمة.

---

(١) سفينة البحار: ٥٨٥/٢.

الدارميّة

وهي من أفاضل نساء عصرها في إيمانها، ووفور عقلها، وقد آمنت بوصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه، وقد سأل عنها معاوية ليتشفّى منها، فجيئ بها إليه، فقال لها مستهزءاً وساخراً:

ما حالك يا بنة حام؟

فردّت عليه بمنطق فيّاض قائلة:

«لست لحام إن عبتني، إنّما أنا امرأة من بني كنانة».

أتدرين لِمَ بعثت إليك؟

«لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى».

بعثت إليك لأسألك لماذا أحببت عليّاً وأبغضتيني، وواليته وعاديتيني؟

«إعفني».

لا أعفيك.

انظروا إلى جوابها المرصّع بالوعي ووفرة الحجّة وروعة البيان، قالت:

«أحببت عليّاً على عدله في الرعية، وقسمته بالسويّة، وأبغضتك على قتال مَن هو أوْلى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحقّ، وواليت عليّاً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء ـ أرادت البيعة للإمام في غدير خمّ ـ وعلى حبّه

للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك للدماء، وشقّك العصا، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى».

لقد أعربت هذه الفاضلة الكاملة عن إخلاصها العميق للإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ وذلك لما يتمتّع به من الصفات الرفيعة التي منها:

١ ـ **عدالته**، وهي من أسمى صفاته، فلم يشاهد التاريخ الإنساني كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عدله، فلم يخضع لأيّ مؤثّرات في حكمه، وإنّما خضع للعدل الخالص الذي ساوى بين جميع أبناء الشعب.

٢ ـ **القسمة بالسويّة**: لم يميّز الإمام في أموال الشعب قوماً على قوم، ولا صنفاً على صنف، واتّبع منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، والتزم بحرفيّة ما جاء على نبيّه من القسمة بالسويّة، فلم يؤثر أحداً على أحد في العطاء الذي هو قوت الشعب.

٣ ـ من دواعي حبّها للإمام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ له البيعة في عيد الغدير، وفرض ولايته على جميع المسلمين.

٤ ـ **حبّه للمساكين**: كان الإمام عليه السلام صديقاً وأخاً للمساكين، فقد أخلص لهم في الحبّ كما أخلصوا له.

٥ ـ **تعظيمه لأهل الدين**: عظّم الإمام أهل الدين ورفع منزلتهم، وأعلى درجتهم، وقد كان ذلك بارزاً في سياسته، كما كان لا يقيم أي وزن للطغاة والجبابرة من القرشيّين.

لهذه الصفات أخلصت هذه السيّدة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد أبغضت معاوية وكرهته للصفات الكريهة الماثلة فيه، وهي:

١ ـ **قتاله للإمام**، فقد شنّ معاوية الحرب في صفّين على الإمام أمير المؤمنين

. مع علمه أنّه أوْلى بالأمر وأحقّ به منه.

٢ ـ **طلبه للخلافة:** مع وجود من هو أحقّ بها منه، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ **سفكه للدماء:** سفك معاوية في حرب صفّين دماء المسلمين بغير حقّ من أجل أطماعه في الملك والسلطان.

٤ ـ **شقّه لعصا المسلمين:** شقّ معاوية عصا الطاعة وفرّق بين المسلمين، وألقى العداء فيما بينهم.

٥ ـ **جوره في القضاء:** جار معاوية في قضائه وحكم بغير ما أنزل الله تعالى، فقد ألحق زياد بن أبيه بنسبه بشهادة أبي مريم وهو رجل فاسق مجرّد عن الدين والكرامة.

٦ ـ **حكمه بالهوى:** لم يحكم معاوية بما أنزل الله تعالى وإنّما حكم بهواه.

هذه بعض الجهات التي أدلت السيّدة الفاضلة في حبّها للإمام وبغضها لمعاوية.

ولم يجد معاوية بعد هذه الحجّة التي أدلت بها هذه الفاضلة سوى القذف والسبّ فقال لها:

انتفخ بطنك

فأجابته بشجاعة:

«بهند ـ أمّ معاوية ـ يُضرب المثل في ذلك لا بي».

وتهافت كبرياء الطاغية وراح يقول:

يا هذا، اربعي، فإنّا لم نقل إلّا خيراً.

وأضاف قائلاً:

هل رأيت عليّاً؟

«إي والله رأيته».

كيف رأيتيه ؟

«لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك».

هل سمعت كلامه ؟

«نعم، كان يجلو القلوب من العمى، كما يجلو الزيت الصدأ».

هل لك حاجة ؟

«أوَتفعل إذا سألتك ؟».

نعم.

«مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها».

ما تصنعين بها ؟

«أغذو بلبنها الصغار، واستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر».

وإذا أعطيتك ذلك هل أحلّ عندك محلّ عليّ ؟

فأجابته غير حافلة بما يعطيها قائلة:

«مرعى ولا كسعدان، وفتى ولا كمالك».

أما والله لو كان عليّ حيّاً ما أعطاك منها شيئاً.

فصدّقته قائلة:

«لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين».

وأعربت هذه الفاضلة عن إيمانها الصادق، وتمسّكها بالإمام رائد العدالة والحقّ في الإسلام.

الزرقاء بنت عدي

من النساء الخالدات في الإسلام، الفاضلة، المهذّبة، الزرقاء بنت عدي، كانت من خلّص أصحاب الإمام أمير المؤمنين، ومن المجاهدات، كانت ترفع صوتها في صفّين بحرارة مخاطبة أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام محرّضة لهم على الجهاد، بعث خلفها معاوية، فلمّا حضرت عنده قال لها:

هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟

«لا يعلم الغيب إلّا الله».

ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفّين، وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرّضين على القتال؟ ما حملك على ذلك؟

«إنّه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن يعود ما ذهب والدهر ذو غير، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر».

هل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت؟

«لا والله لقد نسيته».

لقد سمعتك تقولين: أيّها النّاس، ارعوا وارجعوا إنّكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجازت بكم عن قصد المحجّة، فيا لها فتنة عمياء صمّاء بكماء، لا تسمع لناعقها، ولا تسلس لقائدها، إنّ المصباح لا يضيء في الشمس،

وأنّ الكواكب لا تنير مع القمر، وأنّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلّا بالحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيّها النّاس، إنّ الحقّ كان يطلب ضالّته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنّكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحقّ باطله، فإنّه لا يستوي المحقّ والمبطل، أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ؟!

فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا إنّ خضاب النساء الحنّاء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأُمور عاقبة، ائتوا الحرب غير ناكصين، فهذا يوم له ما بعده.

يا زرقاء، أليس هذا قولك وتحريضك ؟

«كان ذلك».

لقد شاركت عليّاً في كلّ دم سفكه.

«أحسن الله بشارتك، مثلك من بشّر بخير وسرّ جليسه.

أيسرّك ذلك ؟

«نعم والله لقد سرّني قولك فأنّى لي بتصديق الفعل ؟

وبهر معاوية من إخلاصها وولائها للإمام أمير المؤمنين، وراح يقول:

والله ! لوفاؤكم له ـ للإمام ـ بعد موته أعجب عندي من حبّكم له في حياته[1].

لقد أراد معاوية أن يتشفّى وينتقم من كلّ من أخلص للإمام عليه السلام ودان بالولاء له.

---

(١) بلاغات النساء / ابن طيفور: ٣٢.

أُمّ عمرو بن جنادة

من النساء الزاكيات الخالدات في الإسلام أُمّ عمرو بن جنادة الأنصاري، قدّمت ولدها البالغ عمره إحدى عشرة سنة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام بعد أن فجعت بشهادة زوجها، فألبسته لامة حربه وأرسلته إلى الإمام يطلب منه الإذن ليقاتل بين يديه، فلم يسمح له بذلك، وقال:

«هذا غُلامٌ قُتِلَ أَبوهُ في الْحَمْلَةِ الأُولىٰ، وَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكْرَهُ ذٰلِكَ».

واندفع الفتى يتضرّع إلى الإمام ويتوسّل إليه قائلاً:

«إنّ أُمّي قد أمرتني».

فأذن له الإمام، ومضى الغلام متحمّساً إلى الحرب، فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى استشهد، واحتزّ رأسه بعض الممسوخين من أهل الكوفة، ورمى به صوب مخيّم الإمام الحسين عليه السلام، فبادرت إليه السيّدة الشريفة فأخذته وجعلت توسعه تقبيلاً، ومسحت عنه الدم، ورمت به رجلاً قريباً فصرعته، وسارعت إلى الخيمة فأخذت عموداً وحملت على أعداء الله تعالى، وهي ترتجز:

أَنا عَجوزٌ في النِّساء ضَعيفَة ... خاوِيَةٌ بالِيَةٌ نَحيفَه

أَضْرِبُكُمْ بِضَرْبَةٍ عَنيفة ... دونَ بَني فاطِمَةَ الشَّريفَه

وأصابت رجلين ، فبادر إليها الإمام وردّها إلى المخيّم ، لقد استولى الإمام بروحانيّته على عواطف هذه الكريمة ، فقدّمت فلذة كبدها فداء له ، ثمّ انعطفت هي إلى ميدان القتال لتفديه بنفسها.

حقّاً هذا منتهى الإيمان والإخلاص[1].

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام : ٢٣٣/٣.

أمّ وهب

من النساء الفاضلات الزاكيات أُمّ وهب، فقد ساهمت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فقد انبرت بلهفة إلى ولدها الوحيد تحفّزه على نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجابها إلى ذلك، ودخل في ساحة المعركة يجندل الأبطال، ثمّ رجع إلى أُمّه فقال لها:

«هل رضيت يا أُمّاه ؟».

فأجابته بإيمان صادق لا حدود له قائلة:

«ما رضيت عنك حتّى تُقتل بين يدي الحسين».

وانبرت زوجته تعذله عن الشهادة، فقالت له أُمّه:

«يا بنيّ، لا تقبل قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله، فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله».

أي إيمان هذا الإيمان، وأي تضحية في سبيل الله تعالى مثل هذه التضحية.

فرجع إلى ميدان القتال حتّى استشهد، وأخذت عموداً لتقاتل، فقال لها الحسين عليه السلام:

«جُزِيتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً، ارْجِعي إلَى النِّساءِ»[1].

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٣/٢٣٣.

إنّ الايمان قد استوعب نفس هذه المرأة حتّى صار من عناصرها ، فقد قدّمت ولدها قرباناً لعقيدتها ، وانعطفت إلى الساحة لتشترك في عمليّة الحرب .

وقيل إنّها استشهدت .

هذه صور مشرقة من النساء اللاتي تغذّين بتعاليم الإسلام وآدابه ، فكنّ أمثلة للشرف والعفّة والطهارة والجهاد في سبيل الله .

فعلى نساء المؤمنين أن يتّخذن الكواكب المشرقة من هذه السيّدات قدوة حسنة يقتدين بتضحياتهنّ في سبيل الله ، ولا يتّخذن النساء الغربيات اللاتي نبذن العفّة والكرامة ، وخلعن كلّ فضيلة تتزيّن بها المرأة .

المحتويات

الإهداء ٥
تقديم ٧

طبائع المرأة وغرائزها النفسيّة ١٣
الرقّة والحنان ١٥
التقلّب ـ السيطرة على الرَّجل ١٦
الزينة ١٧
حبّ المال ١٨
فقْد القناعة ١٩
الاطراء والمدح ٢٠
الشعور بالضعف ـ الغيرة ٢١
عادة غريبة ٢٣

المرأة في ظلمات الجاهليّة ٢٥
التبشير بالمولودة الأُنثى ٢٧
وأْد البنات ٢٨
قسرها على الزواج ٢٩
عضلها عن الزواج ٢٩
معاملتها كالمتاع ٢٩

المرأة في جاهليّة الغرب ٣٠
انحلال الأُسرة ٣١
الفجور متاركه ٣١
السيلان ـ السفلس ـ القرحة الرخوة ٣٣

المرأة في ظلّ الإسلام ٣٥
وصيّة النبيّ ﷺ بالمرأة ٣٧
حقوقها ٣٨
مساواتها للرجل في الأحكام ٣٨
الملكيّة ٣٩
الإرث ٤٠
العلم ٤١
الحجاب ٤٢
النظرة الآثمة ٤٣
صور الجنس: ٤٤
الزواج: ٤٥
الفحص عن الزوج ٤٥
الصفات الحسنة ٤٦
١ ـ الكفاءة ٤٦
٢ ـ السخاء ٤٨
٣ ـ البارّ بوالديه ٤٩
الصفات الممقوتة ٥٠
١ ـ شرب الخمر ٥٠

٢ ـ سوء الخُلق ٥٢
٣ ـ العصبي ٥٣
٤ ـ المخنّث ٥٤
٥ ـ البخل ٥٤
٦ ـ العاقّ لوالديه ٥٦
حقوق المرأة ٥٧
الإنفاق ٥٧
١ ـ المسكن ٢ ـ الطعام ٣ ـ الكسوة ٥٨
٤ ـ الفراش ٥ ـ أُدوات التنظيف ٥٨
واجبات على المرأة ٥٩
الطاعة ٥٩
وصيّة امرأة لابنتها ٦١
التأدّب: ٦٢
القرار في البيت ٦٢
آداب إسلاميّة ٦٣
التعاون ٦٤
اجتناب فحش الكلام ٦٥
الكلم الطيّب ٦٦
اجتناب الخصومة ٦٨
اللين والتسامح ٦٩
إظهار المودّة والحبّ ٧٠
التوسعة على العيال ٧٠
تساؤلات: ٧٢

تفضيل الرجل عليها بالميراث: ٧٣
قوامة الرَّجل ٧٣
شهادة المرأة ٧٤
تعدّد الزوجات ٧٥
مبرّرات التعدّد ٧٥
شرط التعدّد ٧٧
الطلاق ٧٨
الطلاق في رحاب القرآن الكريم ٧٩
كراهة الطلاق: ٨٠
علاج الطلاق ٨١
عدّة الطلاق ٨٢

نساء خالدات ٨٣
أمّ المؤمنين خديجة ٨٥
اقتران النبي ﷺ بخديجة ٨٦
في غار حراء ٨٧
إسلام خديجة وعليّ ﷺ ٨٩
الدعم الاقتصادي ٩١
مكانتها عند النبيّ ٩٢
بيتها في الجنّة ٩٤
إلى الفردوس الأعلى ٩٤
سيّدة النساء فاطمة ٩٧
أحاديث النبيّ ﷺ في فضل الزهراء ﷺ ٩٧

من معالم التربية النبويّة ١٠٠
لمحات عن صفاتها ومُثُلها: ١٠٢
العصمة ١٠٢
البرّ بالفقراء ١٠٤
الزهد في الدنيا ١٠٦
العفاف والحجاب ١٠٨
الإيمان العميق بالله ١١٠
انقطاعها إلى الله ١١١
١ ـ دعاؤهاﷺ في الالتجاء إلى الله تعالى ١١١
٢ ـ دعاؤهاﷺ في الاعتصام بالله تعالى ١١٢
٣ ـ دعاؤهاﷺ في تسبيح الله تعالى ١١٣
٤ ـ دعاؤهاﷺ للأمر العظيم ١١٤
٥ ـ دعاؤهاﷺ في تيسير الأمور ١١٤
٦ ـ دعاؤهاﷺ في الاستشفاء ١١٥
٧ ـ دعاؤهاﷺ في الصباح والمساء ١١٥
٨ ـ دعاؤهاﷺ عند المنام ١١٥
٩ ـ أدعية الأيام: ١١٦
دعاؤهاﷺ في يوم السبت ١١٦
دعاؤهاﷺ في يوم الأحد و الاثنين ١١٧
دعاؤهاﷺ في يوم الثلاثاء و الأربعاء ١١٨
دعاؤهاﷺ في يوم الخميس و الجمعة ١١٩
تسبيح الزهراءﷺ ١٢٠
خطابها الخالد ١٢٢

المواقف البطوليّة في نصرة الإمام ١٣٦
اعتذار مرفوض ١٤١
إلى جنّة المأوى ١٤٢
وصيّتها عليها السلام ١٤٣
تأبين الإمام للزهراء عليها السلام ١٤٥
تأسيس الزهراء عليها السلام لمذهب أهل البيت عليهم السلام ١٤٦
سيّدة النساء زينب عليها السلام ١٤٧
في الأسر ١٤٩
خطاب العقيلة في الكوفة ١٤٩
في مجلس ابن زياد ١٥١
في بلاط يزيد ١٥٢
محتويات الخطاب ١٥٧
موقف آخر لزينب عليها السلام مع يزيد ١٥٩
إلى الرفيق الأعلى ١٦١
أمّ البنين ١٦٣
من رثائها لأولادها ١٦٤
مكانتها عند المسلمين ١٦٥
وفاتها ١٦٥
نسيبة المازنيّة ١٦٧
الدارميّة ١٦٩
الزرقاء بنت عدي ١٧٣
أمّ عمرو بن جنادة ١٧٥
أمّ وهب ١٧٧